الفصل السابع

الإمامة.. والولاية

يعد ابن سبأ أول من قال بإمامة على وأول من أعلن كفر مخالفيه. وبعده قالت إحدى فرق العباسية «من لم يعرف الإمام لم يعرف الله وليس بمؤمن بل هو كافر مشرك».

وقال علماء الشيعة الفرس إن الإمامة هى إيمان الإنسان باثنى عشر إماما معصومين وإلا كان كافرا لأنها من أركان الدين، بل هى فى المقدمة لأن بقية الأركان لا تستقيم إلا بها. ويعتبر تعيين الإمام أهم من بعث الرسول لأن تركه نقض للغرض وهدم للبناء. ويقول الدكتور «شريعتى» فى كتابه التشيع العلوى فى الصفحة ١٧٦، إن الإمامة فى التشيع الصفوى إيمان الإنسان واعتقاده باثنتى عشرة شخصية غيبية يجب علينا أن نحبهم ونعبدهم ونمدحهم ولكننا لا نلتزم فى حياتنا بأى التزام من حيث اتباعهم.

ويؤكد العلماء الفرس أن ولاية آل البيت هى من أصول الدين، ويروون فى هذا المجال عدة أحاديث عن الأئمة تقول: إن الإسلام بنى على خمس: الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية، ولم يناد بشئ كما نودى بالولاية. فهى أفضلهن لأنها مفتاحهن. إن الله رخص فى أربع ولم يرخص بها[1].

وقد بالغوا وقالوا إن فكرة الإمامة فى على وأبنائه عن طريق النص والوصية لهم بها من الله أو من الرسول ﷺ أو منهما معا ومثل هذا الادعاء لم يقل به أحد قبل هشام بن الحكم.

كما أن الإقرار بالإمامة لعلى وأبنائه من أصول الدين فمن لم يقر بها عد شريكا للكافرين ومن أنكر إمامتهم سيخلد فى النار فمن والاهم والى الله ومن عاداهم فقد عادى الله ومن عرفهم فقد عرف الله ومن جهلهم فقد جهل الله ومن تخلى عنهم فقد تخلى عن الله. فقرنوا الإيمان بالله وطاعته بالإقرار بإمامتهم واعتبروا ذروة الأمر طاعة الإمام لأن الله أشركهم مع الرسل فى الطاعة ولهذا اعتبرت الولاية أفضل من الصلاة والزكاة والصوم والحج.

(١) المرجع السابق ص ١٤١.

وقد اختلف قول المتشيعيين فى غير الشيعة مخالفى على فمنهم من حكم بكفرهم وذهب آخرون إلى أنهم فسقة. ثم اختلفوا. فقال فريق إنهم مخلدون فى النار، وقال فريق آخر إنهم يخرجون من النار إلىالجنة. وقال الفريق الثالث إنهم يخرجون من النار ولايدخلون الجنة. وقد حاول بعض الكتاب المتأخرين أن يكونوا أكثر اعتدالا فى من خالف ولاية آل البيت باعتبار أن الإمامة هى بأصول المذهب أشبه منها بأصول الدين ومنكر الإمامة عندهم لا يخرج بذلك عن ملة الإسلام.

وخلاصة عقيدة الإمامة عند المتشيعين الفرس تعتمد على النص والوصية واعتبارها فى مقدمة أصول الدين ومنكرها كافر. ويروون عن أبى عبد الله قوله: «والله لو سجد حتى ينقطع عنقه ما قبل الله منه إلا بولايتنا أهل البيت».

ويستند المتشيعون الفرس فى قولهم بالإمامة والرد على مخالفيهم بالقول بما أن الإمامة لطف من الله وجب عليه نصب الإمام بنص منه فى آياته وبأمر إلى النبى أن يبلغ ذلك. ولما أعيتهم الحيلة فى إيجاد ذلك فى آيات القرآن وحديث الرسول ﷺ عملوا على تحريف الآيات ووضع الأحاديث.

تحريف آيات من القرآن

يقرأون بعض الآيات على الشكل الآتى استنادا إلى روايات نسبوها إلى الأئمة وادعوا بأنها نزلت هكذا ولكن الصحابة حذفوا منها بعض الكلمات، ومن هذه الآيات التالى:

- ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ﴾ «كلمات فى محمد وعلى وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من ذريتهم» ﴿فَنَسِيَ﴾[1].
- ﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ «على» مُّسْتَقِيمٌ﴾[2].
- ﴿إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ﴾ «فى على»[3].
- ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ فى ولاية على وولاية الأئمة من بعده ﴿فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[4].
- إن ولاية على ﴿نَزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾﴾ إن ولاية على «لتذكرة للمتقين» «للعالمين».
- ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ «فى على» ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾[5].

---

(١) سورة طه الآية ١١٥.
(٢) سورة الحجر الآية ٤١.
(٣) سورة الجن الآية ٢٣.
(٤) سورة الأحزاب الآية ٧١.
(٥) سورة البقرة الآية ٢٣.

... وتأويل آيات أخرى

للمتشيعين الفرس تأويلات لآيات عديدة من القرآن الكريم تشير حسب تأويلهم صراحة إلى إمامة على وأبنائه بحيث أصبح التفسير الفارسي وكأن القرآن نزل فى مسألة الولاية والنص على الأئمة وتروى هذه التأويلات منسوبة إلى الأئمة ومنها:

- ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾[1] هى الولاية.
- ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[2] هى الولاية.
- ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ ﴾[3] دين الحق هو الولاية.
- ﴿ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ﴾[4]، الهدى هو الولاية.
- ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾[5] الصراط المستقيم هو على.
- ﴿ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ ﴾[6] على شريك محمد ﷺ.
- ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾[7]، الذين لم يخلطوا ولاية على بولاية فلان وفلان.
- ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ﴾[8] الآيات المحكمات على والأئمة والمتشابهات فلان وفلان.

حديث الرسول ﷺ

يقدم المتشيعون الفرس الكثير من أحاديث الرسول ﷺ التى يعترف بصحتها جميع المسلمين إلا أن الفرس يفسرونها وفق متطلبات عقيدة الإمامة والنص على «على» كما يروون الكثير من الأحاديث المنتحلة والرسول ﷺ منها براء.

---

(١) سورة الشعراء الآيات ١٩٣ - ١٩٤.
(٢) سورة الأحزاب الآية ٧٢.
(٣) سورة الصف الآية ٩.
(٤) سورة الجن الآية ١٣.
(٥) سورة الأنعام الآية ١٥٣.
(٦) سورة طه الآية ٣١ - ٣٢.
(٧) سورة الأنعام الآية ٨٢.
(٨) سورة آل عمران الآية ٧.

- حينما خرج الرسول ﷺ لغزوة تبوك خلف عليا بالمدينة فاشتكى على قائلا: اتخلفنى فى النساء والصبيان فقال ﷺ: أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبى بعدى.
- فى غزوة خيبر قال رسول الله ﷺ: لأعطين الراية غدا إلى رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله. كرار غير فرار لا يرجع حتى يفتح الله على يده.
- عندما آخى الرسول ﷺ بين المهاجرين والأنصار لم يوآخ بين على وبين أحد فانصرف على حزينا فقال له إنما ادخرتك لنفسى. فأخذ بيده وقال. اللهم هذا منى وأنا منه إلا أنه منى بمنزلة هارون من موسى. ألا من كنت مولاه فعلى مولاه.
- قال رسول الله ﷺ من علم أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسوله وأن عليا وليه وأن الأئمة من ولده أدخله الجنةوأنجاه من النار.

خطبة غدير خم

وهناك مجموعة أخرى من الأحاديث المنتحلة على رسول الله ﷺ منها:

- أنا مدينة العلم وعلى بابها.
- أنت أخى ووصيى وخليفتى من بعدى وقاضى دينى.
- على خير البشر فمن أبى فقد كفر.

الأحاديث المنسوبة إلى الأئمة:

وهى كثيرة جدا تشغل حيزا مهما فى أهم كتب المتشيعين الفرس وتعبر عن تعصب أعمى فى فهم الإسلام وتطرف مبالغ فيه وتعد أعلى درجات الغلو الذى نهر عنه كتاب الله وحديث رسوله ﷺ والأئمة.

- قال على رضي الله عنه لابنه الحسن قبل وفاته: يابنى أمرنى رسول الله ﷺ أن أوصى إليك وأن أدفع إليك كتبى وسلاحى.. وأمرنى أن آمرك إذ حضرك الموت أن تدفعها إلى أخيك الحسين.. ثم أقبل على ابنه الحسين وقال: وأمرك رسول الله ﷺ أن تدفعها إلى ابنك هذا (على). ثم قال لعلى وأمرك رسول الله ﷺ أن تدفعها إلى ابنك محمد وأقرئه من رسول الله ﷺ السلام.

ـ عن أبى جعفر.

- معرفة الله، تصديق الله وتصديق رسوله ﷺ ومولاه.. على.
- لا يكون العبد مؤمنا حتى يعرف الله ورسوله ﷺ والأئمة.

- كل من دان الله عز وجل بعبادة يجهد فيها نفسه ولا إمام له من الله فسعيه غير مقبول.
- حبنا إيمان وبغضنا كفر.

وتسقط هذه الادعاءات والمغالطات بذكر الحقائق الآتية:

(أ) الرد عل تحريف الآيات القرآنية

١ – إن آيات القرآن الكريم التى اعتمدوها فى دعواهم إما محرفة أو مؤولة بما يخدم أغراضهم. فالتحريف بالزيادة والنقصان حديث باطل بإجماع المسلمين سنة أو شيعة.

إن تأويل آيات القرآن الكريم والقول إن الروح الأمين والأمانة والهدى والصراط المستقيم والشريك هى إشارات إلى الولاية فليس هناك ما يدل على ذلك والمتفق عليه أن الروح الأمين هو جبريل والأمانة الطاعة المعلق بها الفوز ودين الحق هو الدين الإسلامى كذلك الصراط المستقيم أما الشريك فهو هارون أخو موسى عليهما السلام، إضافة إلى ضعف أسانيد الروايات.

(ب) الرد على تفسيرهم لأحاديث الرسول ﷺ

– حديث غزوة تبوك: إن استخلاف «على» على المدينة لا يعنى أن يكون خليفته على المسلمين، فقد استخلف الرسول ﷺ أبا رهم الغفارى على المدينة حين خرج إلى الحديبية وسبيع بن عرفطة الغفارى على المدينة فى غزوة خيبر وأبا لبابة بن عبد المنذر عند فتح مكة ويقال أنه أمَّر أبا رهم الغفارى.

– أحاديث المنزلة واعتبار على بمنزلة هارون من موسى ومن كنت مولاه فعلى مولاه لا تعنى أكثر من منزلة على عند الرسول ﷺ ومحبته له واعتباره وليه فى أهله.

يؤكد ذلك:

- إن منزلة هارون من موسى جاءت فى القرآن.
- ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ ﴾[1].
- ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ ﴾[2].
- قيل للحسن بن الحسن بن على، ألم يقل الرسول لعلى من كنت مولاه فعلى مولاه؟ قال: أما والله إن لو يعنى بذلك الإمرة والسلطان لأفصح لكم بذلك كما أفصح لكم بالصلاة والزكاة والصيام والحج.

---

(١) سورة المؤمنون الآية ٤٥.

(٢) سورة الفرقان الآية ٣٥.

- روى عن ابن عباس أن العباس أخذ بيد على فقال له. والله لأرى رسول الله ﷺ سوف يتوفى من وجعه هذا. أن اذهب بنا إلى رسول الله فلنسأله فيمن هذا الأمر، إن كان فينا علمنا ذلك وإن كان فى غيرنا علمنا، فقال على إنى والله لا أسألها رسول الله.
- عند وفاة الرسول خرج العباس بن عبد المطلب على الناس فقال: يا أيها الناس هل عند أحد منكم عهد من رسول الله ﷺ فى وفاته فليحدثنا. قالوا: لا. قال: هل عندك يا عمر علم؟ قال: لا. فقال العباس: اشهدوا أيها الناس إن أحدا لا يشهد على رسول الله ﷺ بعهد عهده إليه قبل وفاته، والله الذى لا إله إلا هو لقد ذاق رسول الله ﷺ الموت.

فإذا كانت الأحاديث عن منزلة على عند رسول الله ﷺ تعنى الوصية بالإمامة فلماذا لم يطبق ذلك على محمد بن على (ابن الحنفية) وقد أعطاه على الراية يوم الجمل وصفين وقال فيه من أحب أن يبرنى فى الدنيا والآخرة فليبر محمدا ولدى.

- خطبة غدير خم[1] تحتل لدى المتشيعين الفرس أهمية تاريخية وعقائدية ويحتلفون إحياء لذكراها. ويلقى هؤلاءالغلاة المسئوولية على النبى ﷺ فى عدم تبليغ المسلمين أمر ربه بالنص على «على» إماما من بعده مبررين ذلك لعلم رسول الله ﷺ أن التبليغ سوف يثقل على الناس وقد يحملونه على المحاباة لابن عمه وصهره، أو لخشيته من قومه أن يرجعوا إلى جاهليتهم لما عرف عداوتهم ولما تنطوى عليه أنفسهم لعلى من العداوة والبغضاء. إلا أن الله لم يعذره كما يقولون، فأوحى الله إليه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ﴾[2] فلم يجد بدا من الامتثال بعد هذا الإنذار الشديد وربما جاءه جبريل بالزجر والانتهار، وقد بلغ بهم الطعن فى رسول الله ﷺ فى موضوع الإمامة درجة التخوين وعدم الثقة.

---

(١) جعلوا من يوم الغدير أعظم الأيام فهو عيد الله الأكبر وأعظم حرمة وأشرف من الأضحى والفطر ووضعوا لذلك الأحاديث على لسان الأئمة. سئل أبو عبد الله هل للمسلمين عيد غير يوم الجمعة والأضحى والفطر؟ قال: نعم أعظمها حرمة، قيل وأى عيد هو؟ قال: اليوم الذى نصب فيه رسول الله ﷺ عليا، وعنه أيضا «صيام يوم الغدير يعدل صيام عمر الدنيا وصيامه يعدل عند الله وجل فى كل عام مائة حجة ومائة عمرة وهو عيد الله الأكبر ومن صامه كان أفضل من عمل ستين سنة»، وعن الأئمة: من صام يوم غدير خم ولم يستبدل به كتب الله له صيام الدهر، وعن الصادق يوم الغدير هو عيد الله الأكبر ومابعث الله نبيا إلا وتعبد فى هذا اليوم وعرف حرمته.. من صلى فيه ركعتين.. عدلت عند الله مائة ألف حجة ومائة ألف عمرة.. ومن أفطر فيه مؤمنا كان كمن أطعم فياما وفياما وفياما، وعد إلى العشرة (الفيام مائة ألف) وكان له ثواب من أطعم بعددها من النبيين والصديقين والشهداء.. لعلك ترى الله عز وجل خلق يوم أعظم حرمة منه، لا والله لا والله.

(٢) سورة المائدة الآية ٦٧.

فيروون عن أبى عبد الله قوله: إن الوصية نزلت من السماء على محمد كتابا مختوما ولم ينـزل على محمد ﷺ كتابا مختومـا إلا الوصية، ويروون عنه، نزلت الوصية من عند الله كتابا مسجلا نزل به جبريل مع أمناءالله تبارك وتعالى من الملائكة فقال جبريل: يا محمد مر بإخراج من عندك إلا وصيك ليقبضها منا وتشهدنا بدفعه إياها ضمانا لها.

كذلك طعنوا فى عصمته ﷺ فيذكرون أنه بُلغ بوصية على فى معراجه فنسى ما بُلغ به من ربه فنزلت الآية ﴿يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾.

وليس هذا الكلام بغريب على التشـيع الفارسـى وهو وارث فكر الغلاة، فقد سـبقهم جماعة أبى كامل إلى القول: إن التقصير والذنب على النبى ﷺ إذ لم يبين الأمر بيانا رافعا للإشكال. والسؤال الذى يتبادر إلى الذهن من كان مع النبى ﷺ فى معراجه فعلم بذلك؟

ولأهمية غدير خم فى عقيدة التشيع الفارسى وما جاء بها من غلو تعدى غلو الغلاة الذين تبرأ منهم الأئمة فلابد من الرد عليها حسب ما جاءت فى كتاب الاحتجاج للطبرسى خاصة إذا ما علمنا أن روايات هذا الكتاب لها دور كبير فى الترويج لعقائد المتشيعين الفرس.

ذكر الطبرسى الرواية فى الجزء الأول. ومن أبرز ما اشتملت عليه[1]:

١ – النص على إمامة على «من كنت مولاه فعلى مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله».

٢ – تكفير جميع صحابة الرسـول ﷺ دون اسـتثناء عدا الإمام على «كان مع رسـول الله سـبعون ألفا أو يزيدون على نحو عدد أصحاب موسـى الذين أخذ عليهم بيعة هارون فنكثوا واتبعوا العجل والسامرى. وكذلك أخذ رسول الله ﷺ البيعة لعلى بالخلافة على عدد أصحاب موسى فنكثوا البيعة واتبعوا العجل والسامرى سنة بسنة ومثلا بمثل».

٣ – توجيه الله سبحانه وتعالى لرسوله الكريم النهر والزجر «أمر الله رسوله أن يقيم عليا وليه وحجته فخشى رسول الله ﷺ.. فلما بلغ غدير خم أتاه جبريل بالزجر والانتهار».

٤ – القول بأن إنكار ولاية على تساوى الشرك بالله «على إمام من الله ولن يتوب الله على أحد أنكر ولايته ولن يغفر له».

٥ – القول بأن الرسول ﷺ وجه اللعنة إلى الخلفاء الراشدين وتبرأ منهم «وسيكون من بعدى أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون.. إن الله وأنا بريئان منهم.. وسيجعلونها ملكا واغتصابا ألا لعن الله الغاصبين والمغتصبين».

(١) الطبرسى، الاحتجاج: المقدمة.

إن بطلان هذه الرواية يتضح من الآتي[1]:

١ – إن الرسول ﷺ معصوم وذكره تعالى مقرونا باسمه في العديد من الآيات ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾[2] ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾[3] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾[4] ﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾[5] فهل يصح أن يبلغه الله وينسى فيوجه له الزجر والانتهار؟

٢ – ولاية على لا تقرن بالإشراك بالله، والله سبحانه يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾[6].

٣ – تكفير سبعين ألف صحابي مع رسول الله ومن رسول الله ﷺ مخالفة لكتاب الله وحاشا أن يقول ذلك الرسول الكريم ﷺ ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾[7] ﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾[8] فهل غير الله رأيه فيهم؟.

٤ – هل يصح أن يلعن الرسول ﷺ صحابته ومنهم من بشره بالجنة ومنهم الصديق ثاني اثنين؟

(ج) الرد على الأحاديث المنسوبة للأئمة:

إن فكرة الإمامة بالنص والوصية لم يعرفها التشيع العربي ولم يقل بها على أو أبناؤه أو أحفاده، وقال ابن أبي الحديد، اتفق شيوخنا كافة، المتقدمون والمتأخرون والبصريون والبغداديون على أن بيعة أبي بكر الصديق بيعة صحيحة شرعية، وأنها لم تكن عن طريق نص وإنما كانت بالاختيار كونه طريقا إلى الإمامة، واختلفوا في التفضيل فأنصار على اعتبروه أفضل الناس بعد الرسول ﷺ دون أن يقولوا بوجود نص ووصية ودون أن يكفروا أحدا من الصحابة.

وروى عن الرسول ﷺ في حديث عن خلقه هو وعلى قوله، وجعل في النبوة والبركة وجعل في على الفصاحة والفروسية» فلماذا لم يقل في على الإمامة والوصية والمعروف أن النبوة يقابلها الإمامة؟

---

(١) المرجع السابق ص ١٥٥.
(٢) سورة النساء الآية ٥٩.
(٣) سورة النساء الآية ١٤.
(٤) سور الأحزاب الآية ٥٧.
(٥) سورة التوبة الآية ١.
(٦) سورة النساء الآية ٤٨.
(٧) سورة التوبة الآية ١٠٠.
(٨) سورة الفتح الآية ١٨.

وفى نصوص خطب ورسائل الإمام على ما يشير إلى وجوب الإمامة دون إشارة إلى النص والوصية. ونلاحظ نقدا لطريقة الاختيار لا إلى الاختيار كطريق للإمامة ومن كتاب له إلى معاوية اعتراف صريح على كون الاختيار طريقا إليها وإن بيعة الصحابة الثلاثة كانت صحيحة شرعا لأنه يحتج على معاوية ببيعة أهل الحل والعقد: «بايعنى القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه.. وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار فإن اجتمعوا على رجل وسموه إماما كان ذلك لله رضى». وعندما طلب للبيعة قال: فى المسجد فإن بيعتى لا تكون خفيا ولا تكون إلا برضا المسلمين.

يضاف إلى ذلك أن عليا لم يحاجج أبا بكر بالنص والوصية وإنما بما حاجج أبو بكر الأنصر من قرابة قريش لمحمد ﷺ وفى قوله لعمه العباس ولأبى سفيان عندما خاطباه فى أن يبايعا له بعد رسول الله ﷺ ما يؤكد عدم رغبته فى الولاية والقناعة بأن دوره لم يأت بعد. هذا ماء آجن ولقمة بغض بها آكلها. ومجتنى الثمرة لغير وقت إيناعها كالزارع بغير أرضه. وعن النضر بن إسحاق بن الحسن قال: قيل لعلى رضي الله عنه: علام بايعت أبا بكر؟ فقال: إن رسول الله ﷺ لم يمت فجأة. كان يأتيه بلال فى كل يوم مرضه يؤذنه بالصلاة فيأمر أبا بكر فيصلى بالناس وقد تركنى وهو يرى مكانى. فلما قبض رسول الله ﷺ رضى المسلمون لدنياهم من رضيه رسول الله ﷺ لدينهم فبايعوه وبايعته.

أما الحسن. فعندما صالح معاوية. صعد المنبر وحمد الله وقال. (أيها الناس إن الله هداكم بأولنا وحقن دماءكم بآخرنا) وهذا ينفى وجود وصى بعده. ومن كتابه إلى معاوية قال. (ولانى المسلمون الأمر) ولم يقل أوصى الله إلى أو أبى بالإمامة. وجاء فى كتاب المصالحة بينه وبين معاوية (صالح الحسن معاوية على أن يسلم إليه ولاية أمر المسلمين وعلى أن يعمل فيها بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة الخلفاء الصالحين).

تأليه الأئمة

قالت الغلاة من السبأية والخطابية والحاكمية والمفوضة والجناحية والنصيرية والإسحاقية والهاشمية بألوهية الأئمة من خلال قولهم بالتناسخ والحلول والتفويض.

ويرى الشهرستانى أن هذه العقيدة مأخوذة من المجوس المزدكية والهند والبرهمية ومن الفلاسفة والصابئة[1].

(١) الشهرستانى الملل والنحل ٢/ ١١٨.

وبما أن الإمامة فى مفهوم التشيع الفارسى نص من الله وأن معرفة الإمام وموالاته فرض على المسلمين. ولما كان أشخاص الأئمة محددون بالنص فى كتاب من الله إلى النبى ﷺ وإن عامة المسلمين لا تعرف ذلك كان لابد من أن تقوم البينة على إمامة المنصوص عليه بعد أن كثر دعاة الإمامة من بنى عبدالمطلب. لهذا غالوا فى تقديس الأئمة ورفعوهم إلى مراتب الألوهية. ويظهر ذلك من خلال الحرص على الاقتران بالله سبحانه وتعالى. والقول بأن الأئمة هم المثانى الذى أعطاه الله محمدا وهم وجه الله وعينه ويده، وهم الأسماء الحسنى وهم لسانه وبابه ويده المبسوطة ولولاهم ما عبد الله وبهم عرف ووحد وبهم أثمرت الأشجار وأينعت الثمار وجرت الأنهار ونزل غيث السماء ونبت عشب الأرض. ويروون عن النبى قوله: قال جبريل: قال الله تبارك وتعالى: (من أهان لى وليا فقد بارزنى بالمحاربة).

كما أنهم أى الشيعة الفرس يربطون دائما اسم على مقرونا باسم الله ومحمد ﷺ والقول بأنه مكتوب على العرش وعلى مجرى الماء وعلى قوائم الكرسى وفى اللوح وعلى جبهة إسرافيل وعلى جناحى جبريل وفى أكناف السماوات وفى أطباق الأرضين وفى رؤوس الجبال وعلى الشمس والقمر.

ويروون عن على عن الرسول ﷺ قوله «إنى وأهل بيتى كنا نورا بين يدى الله تبارك وتعالى قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف سنة. وفى رواية أخرى قبل أن يخلق آدم بسبعة آلاف سنة وفى رواية ثالثة: خلقت أنا وعلى من نور قبل أن يخلق آدم بألفى عام. إن القول بأنهم خلقوا من نور يتعارض مع ما يروى عن على رضي الله عنه: إن الله اغترف من الماء العذب الفرات فصلصلها فجمدت ثم قال لها منك أخلق النبيين والمرسلين وعبادى الصالحين والأئمة المهتدين وكذلك ما يروى عن على زين العابدين من أن الله خلق النبيين من طينة عليين.

وروى عن الرسول قوله لعلى. ثلاث أقسم أنها حق: معرفتك أنت وأوصيائك بأن الله لا يعرف إلا بكم.. وروى عن أبى جعفر: بنا عبد الله، وبنا عرف الله وبنا وحد الله وعن أبى عبد الله عن أمير المؤمنين.. من عرفنى وعرف حقى فقد عرف ربه.

ومن كمال التأليه القول بأن الأئمة شهداء الله على خلقه وولاة أمره وخزنة علمه وخلفاؤه وأبوابه وأركان أرضه وورثه أنبيائه. والقرآن يهدى إليهم، وتعرض عليهم أعمال العباد فهم ولاة أمر الله فيهم أى أن الله منحهم التفويض، كما أعطى عليا الجنة والنار فيدخل الجنة من يشاء ويخرج من يشاء وللإمام الحق فى أن يضع الدنيا والآخرة حيث يشاء ويدفعها إلى

من يشـاء كما أن الأئمة هم الموكلون من الله بحسـاب شيعتهم وفقا لقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾[1].

وعلـى نفس الطريق قالوا إن المعجزة هـى التى تميز الإمام من الدعى فهى الدليل على صدق من نص عليه الله وعلامة لا يعطيها إلا أنبياءه ورسله وحججه.

وبموجـب هذا الرأى كان لابد من معجزات تؤكد النص الإلهى وتكذب المدعين فالأئمة قـادرون علـى إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص فنسـبوا إلى على أنه أحيا ميتا من بنى مخـزوم خرج من قبره يتكلم بلسـان الفرس، وأحيا ميتا آخـر أراد أهله التحقق ممن قتله ونسبوا هذه المعجزة أيضا إلى الحسن والباقر والكاظم والتقى والنقى والحسن العسكرى.

والأئمـة يعلمون ما يحدث بالليل والنهار إلى يـوم القيامة. ويعلمون متى يموتون وأنهم لا يموتون إلا باختيار منهم، ويروى عن الباقر قوله، والذى بعث محمدا ﷺ إنه ليعلم ما فى يومه وفى شهره وفى سنته.

ويروون عن على قوله، إن الله عرف الخلق قدرة الأئمة على علم الغيب من خلق ورزق وأجل وعمل وعمر وحياة وموت وعلم غيب السماوات والأرض.

وكانت لتعدد فرق الشـيعة ولاعتماد المعجزة على الغيبيات فقد بالغوا بنسـجها لدرجة فاقت معجزاتهم معجزات الأنبياء.

فالإمـام على أحيا الموتى وفصل أجزاء النخلة وفرقهـا وباعدها وجمعها وأعادها حتى أعطت ثمرا ونضجت. وأخبر أحد دهاقنة الفرس أنه حدث البارحة سقوط بيت فى الصين وانفراج برج ماجين وسـقوط سور سرنديب وانهزام بطريق الروم بأرمينية وفقد ديان اليهود بأبلة وهاج النمل فى وادع النمل وهلك ملك إفريقيا.

أما معجزات شجاعته فقد قتل فى معركة بدر بمفرده نصف المقتولين وقتل المسلمون كافة وثلاثة آلاف من الملائكة النصف الآخر وشاركهم على فيه أيضا. وفى أحد انهزم المسلمون جميعـا عن رسـول الله ولم يبق إلا على فحمل على ثـلاث كتائب واحدة بعد الأخرى من المشركين وهزمهم وفى خيبر قلع باب الحصن واتخذه جسرا ولما انصرف رمى باب الحصن بيمناه سـبعين ذراعا وكان الباب يغلقه عشـرون رجلا ورام المسلمون حمله فلم يستطيعوا. والحسن تذكر له ست عشرة معجزة منها إحياء الميت واخضرار نخلة يابسـة وإعطاؤها ثمرا وتغيير لون العبد الأسود إلى أبيض وقلب رجل إلى إمرأة وزوجته إلى رجل.

---

(١) سورة الغاشية الآيات ٢٥ – ٢٦.

وقد قرنوا حياة الحسين بعيسى عليه السلام فولد لستة أشهر ولم يرضع من أنثى ولم يقتل وإنما شبه للناس.

وللباقر إحدى وثلاثون معجزة منها إحياء الموتى وإخبار رجل بوفاة والده بعد يومين.

ومن معجزات الصادق قوله، إن أبا حمزة يموت فى شهر كذا فى يوم كذا. ويروى عنه، رأيت المعلى بن خنيس حزينا كأنه ذكر أهله فمسحت على وجهه فأصبح مع أهله ثم تركته حتى نال ما ينال الرجل من أهله، ثم مسحت وجهه فعاد كما كان عندى فى المدينة.

ومن معجزات موسى الكاظم قوله لرجل من شيعته جدد التوبة لم يبق من عمرك إلا شهرا. وقال لإسحاق بقى من عمرك سنتان وأحيا بقرة وتخطى النار ووقف فى وسطها.

ومن معجزات الرضا معرفة ما يدور فى خلد الناس وأنفسهم من الحاجات.

ومن معجزات محمد التقى إجابته عن كل المسائل التى سئل عنها وعمره إحدى عشرة سنة- وعندما سئل عن برهان على إمامته تكلمت عصاه وأخبر أن جارية ستلد غلاما وجعل شجرة تعطى رطبا وأحيا بقرة.

ومن معجزات على التقى علم الغيب وإحياء الموتى وتحويل الرمل والحصى إلى ذهب وإجابته على ثلاثين ألف مسألة امتحن بها وعمره تسع سنين.

ومن معجزات الحسن العسكرى سقوطه فى البئر، فوجده والده يلعب فوق سطح الماء، ثم ارتفع ماء البئر إلى الحافة فخرج، ثم علمه الغيب وإعادة البصر للأعمى.

ومن معجزات الإمام القائم أنه ولد ساجدا رافعا سبابته بالشهادة مكتوب على عضده الأيمن «جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا» وكلم والده بلسان عربى فصيح، وبعد أربعين يوما من ولادته كان يمشى وكان يتكلم فى بطن أمه ويقرأ القرآن ويعبد ربه وتعلمه الملائكة.

وبلغ الغلو بالمتشيعيين الفرس، نسبة المعجزات والتقديس إلى اتباع الأئمة، فالوكيل الثانى للمهدى أخبر بيوم وفاته وتنبأ سلمان الفارسى بمصارع إخوانه فى كربلاء.

هذه العقائد ورثها التشيع الفارسى من فرق الغلاة. فجماعة البيانية قالت إن عبد الله بن محمد بن الحنفية يحيى الموتى وفرق من الحربية قالت: إن عبد الله بن معاوية يحيى الموتى ويعلم ما فى الأرحام، وفرقة من العباسية قالت: إن الإمام يحيى ويميت، وفرقة الخطابية قالت: إن محمدا وعليا آلهة، ومن الغلاة من قال بالتفويض أى أن الله فوض محمدا ﷺ وعليا وفاطمة وسائر الأئمة فى التدبير والخلق.

وبالإضافة إلى ما جرى من تأليه للأئمة، قالت فرق الغلاة من العلبائية والمغيرية والذمية وغيرها بمساواة الأئمة بالرسول ﷺ أو بتفضيلهم عليه. فالغرابية خطأت جبريل بتبليغ الرسالة فأزالها عن على أما الهاشمية من العباسية فقالت: الإمام بمنزلة النبى ﷺ والجارودية قالت الحلال حلال آل محمد والحرام حرامهم والأحكام أحكامهم.

أما الخطابية فقالوا برسولين فى كل عصر أحدهما ناطق هو محمد والآخر صامت هو على.

والذى يتصفح كتب التشيع الفارسى يجد الغلو فى هذا الجانب يتعدى غلو الغلاة الذين لعنهم الأئمة وتبرأوا منهم.

وفى مسألة الخلق، يروون عن الرسول ﷺ قوله، خلقت أنا وعلى من نور واحد قبل أن يخلق آدم بألفى عام. فلما خلق آدم جعل الله ذلك النور فى صلبه فلم يزل ينقلنا من أصلاب طاهرة إلى أرحام طاهرة حتى انتهى بنا إلى عبدالمطلب فقسمنا نصفين فجعلنى فى صلب عبد الله وجعل عليا فى صلب أبى طالب.

ويروون عن على قوله: كنت أنا والنبى نورا من نور الله فأمر بانشقاق هذا النور ثم قال لنصفه كن محمدا فكان محمد وقال لنصفه الآخر كن عليا فكان على وهذه المسألة يحسمها القرآن الكريم فيقول سبحانه وتعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ﴾[1] ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾[2] ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾[3] ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾[4].

وعن المكانة عند الله، يروون عن الرسول ﷺ: رأيت مكتوبا على العرش لا إله إلا الله وحده لاشريك له محمد عبدى ورسولى أيدته ونصرته بعلى. وعنه ﷺ، مكتوب على باب الجنة لا إله إلا الله محمد رسول الله على أخو رسول الله، ويروون عنه ﷺ أنه قال لعلى: ولايتك كولايتى عهد عهده إلى ربى وأمرنى أن أبلغكموه، ويروون عن على: «لقد أقرت لى جميع الملائكة والروح والرسل بمثل ما أقروا به لمحمد ولقد حملت على مثل حملته»، وقوله: «والله لقد أعطانى الله تبارك وتعالى تسعة أشياء لم يعطها أحدا قبلى خلا النبى ﷺ..».

(١) سورة الرحمن الآية ١٤.
(٢) سورة المؤمنون الآية ١٢.
(٣) سورة الروم الآية ٢٠.
(٤) سورة الصافات الآية ١١.

وبما أن الرسول قد ذكر مبعثه فى الكتب المقدسة. فقد ذكروا أن اسم على جاء أيضا فى التوراة والإنجيل والزبور وعند الهنود والروم والفرس والأتراك والزنج والكهنة والأحباش وعند أبيه وأمه وعند العرب. ويروون عن على: اسمى عن اليهود (اليا) وعند النصارى (ايليا) وعند والدى على وعند أمى حيدرة وجاء وصفه بالتوراة بالأصلع المصفر وقالوا إن محمد بن على معروف فى التوراة بالباقر.

ويروى عن رسول الله ﷺ قوله، لما عرج به سأله الملائكة عن على حتى ظهر له أن أهل السماء يعرفون عليا أكثر منه ويروون عن أبى جعفر فى قوله عز وجل آية ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢﴾[1] قال: كان أمير المؤمنين يقول: ما لله عز وجل آية أكبر منى ولا لله من نبأ أعظم منى وعنه أيضا: ما جاء عن أمير المؤمنيين يؤخذ به ومانهى عنه ينتهى عنه.

وفى تفضيلهم على الأنبياء اعتبروا الأئمة أهدى من جميع الأنبياء وأعلم الخلق من الأولين والآخرين عموما ومن الأنبياء والأوصياء خصوصا بل هم مفضلون عليهم عند الله فالأئمة الآيات وأما الأنبياء فهم النذر وقد قدم الله الآيات على النذر فى الآية ﴿وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَـٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾[2].

فالإمام القائم أفضل من عيسى وعند ظهوره ونزول عيسى يصلى عيسى خلفه ويقول له إنكم أئمة لا ينبغى لأحد أن يتقدمكم.

ويروون عن الرسول أنه قال لعلى: لولانا ما خلق الله آدم ولا حواء ولا الجنة ولا النار ولا السماء والأرض، وأمر الملائكة بالسجود لآدم تعظيما لنا ولإكرامنا.

ويروون عنه ﷺ أنه سأل فى معراجه الأنبيا عن سبب رفعهم إلى هذه الدرجة. فتشهدوا بأن ذلك بفضله وإمامة على والأئمة. ويروون عنه ﷺ قوله لعلى. فضلنى الله على جميع النبيين والمرسلين والفضل بعدى لك وإن الملائكة لخدام لنا ولمحبينا ويروون عن على.. أنا محمد وإبراهيم وموسى وعيسى.. وتروى كتب التشيع الفارسى، وقعت عيون آدم وحواء وهم فى الجنة فجأة على مقام الأئمة الأربعة عشر المعصومين، فسألا عن هذا المقام فجاءت إجابة الله. لمحمد وعلى وفاطمة والأئمة ولو لم يكونوا لما كنت خلقتكما وتروى. لن يبعث رسول إلا بنبوة محمد ووصية على، وتروى إنما اتخذ الله عز وجل ابراهيم خليلا لكثرة صلاته على محمد وأهل بيته.

---

(١) سورة النبأ الآيات ١ - ٢.

(٢) سورة يونس الآية ١٠١.

أما الطوسى والعلامة والحلى فيضعون الأئمة بمساواة الأنبياء. هذا وقد أضاف التشيع الفارسى غلوا إلى غلوهم وصفوا أتباع الأئمة بصفات الرسول فيروون عن على إن سلمان باب الله فى الأرض من عرفه كان مؤمنا ومن أنكره كان كافرا. وعن أبى عبد الله يقول: إن الله يبعث ملكا إلى سلمان ينقر فى أذنه يقول كيت وكيت. وقوله: إن سلمان يحدثه ملك كريم. ويروون إن سلمان كان يكلم ملك الموت.

يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾[1] فهل هناك ما يشير إلى على ﷺ فى كتب اليهود والنصارى؟ وقال عز وجل ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ (٩٨)﴾[2].

فهل هناك إشارة فى القرآن إلى الأئمة والأوصياء لكى يكونوا أفضل من هؤلاء ولكى يكون الملائكة خداما لهم ولمحبيهم؟ يروون عن على «إن الله عز وجل ركب فى الملائكة عقلا بدون شهوة وركب فى البهائم شهوة من دون عقل. وركب فى بنى آدم كليهما فمن غلب عقله على شهوته فهو خير من الملائكة» وعن الأئمة. كان جبريل إذا أتى النبى ﷺ قعد بين يديه قعدة العبد، وتمنى جبريل أن يكون منهما.

إن الملائكة أفضل خلق الله. أفضل من الرسل والأنبياء يقول عز وجل: ﴿قُل لَّا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾[3] ويقول: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾[4] وذكر جبريل فى القرآن: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٩) ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (٢٠) مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ (٢١)﴾[5] وبهذا الرأى قال بعض علماء أهل السنة إن الملائكة أفضل من آدم ومن جميع الأنبياء عليهم السلام ولو لم يدل على ذلك إلا قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾[6].

الأئمة يعلمون

قالت الكيسانية والإسماعيلية والخطابية والقرامطة من الغلاة أن هناك من العلوم

(١) سورة الصف الآية ٦.
(٢) سورة البقرة الآية ٩٨.
(٣) سورة الأنعام الآية ٥٠.
(٤) سورة الأنعام الآية ١٥٨.
(٥) سورة التكوير الآيات ١٩ - ٢١.
(٦) سورة الأعراف الآية ٢٠.

مالا يعرفهـا إلا الأئمة تناسـخت من إمام إلى إمام. وإن مـا فرضه الله على عباده وجاء في القرآن أو سنة الرسول ﷺ لها باطن وظاهر. باطن يعرفه الإمام وظاهر يعرفه الناس وبهذا سـهل عليهم تأويل ما يشـاءون من الآيات والأحاديث أما الهاشمية فقالت. إن الإمـام يعلم كل شـئ، والجارودية قالـت الحلال حلال آل محمد والحـرام حرامهم. وعندهـم جميع ما جاء به محمد كله كامل عنـد صغيرهم وكبيرهم والكبير والصغير في العلم سواء.

وعلى أسـاس فكرة الغلاة ينص التشـيع الفارسـي على أن العلم الحق هو علم الأنبياء والأوصيـاء الصادر عـن الوحي والإلهام. وبما أن الإمام لطف مـن الله فقد أودع قلبه ومنذ ولادتـه ينابيع العلم والحكمة فـلا يحتار في جواب، آمن من الخطأ بل وهو في بطن أمه ورث العلم. وتقرأ في رواياتهم أن الإمام القائم قال الشـهادة عند ولادته وصلى على رسول الله وعلـى الأئمـة وكلم أباه بلسـان عربي فصيـح وقال لخادم أبيه عند عطاسـه يرحمك الله. ألا أبشرك أن العطاس هو أمان من الموت لمدة ثلاثة أيام. وذكر العسكري أن ابنه يتكلم في بطن أمه ويقرأ القرآن ويعبد ربه وتعمله الملائكة. وأن الإمام محمد بن علي الرضا أجاب على ثلاثين ألف مسألة وهو ابن عشر سنين.

وحسب هذا المفهوم فإن انقطاع الوحي النبوي لا يعني انقطاع نزول علم الله إلى الأئمة. فالأئمـة ورثـة العلم يرث بعضهم بعضا فهناك وحي دائم من نوع آخر ومعراج إلى السـماء إضافة إلى أن الله لم يعلم نبيه علما إلا أمره أن يعلمه أمير المؤمنين فهو شـريكه في العلم. ولهذا فعلمهم في زيادة مستمرة ولولاها لنفد ما عندهم.

وخلاصـة عقيدة علم الأئمة وفق مفهوم التشـيع الفارسـي اعتمادا علـى ما يروونه عن الأئمة تتضمن:

١ – إن من وصفهم الله تعالى في كتابه بالعلم والراسخين في العلم هم الأئمة يروى عن أبي جعفر في قول الله عز وجل: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1] قال: إنما نحن الذين يعلمون والذين لا يعلمون عدونا.

وعنه وعن أبي عبد الله في قول الله عز وجل: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ﴾[2]. قالا: نحن الراسخون في العلم.

(١) سورة الزمر الآية ٩.
(٢) سورة آل عمران الآية ٧.

٢ – الأئمة أوتو العلم وعلمهم فى زيادة مستمرة يروى عن أبى جعفر فى قول الله عز وجل: ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ﴾[1] فأومأ بيده إلى صدره.

٣ – الأئمة ورثة العلم يرثه الإمام بعد الإمام. فهم ورثة علم النبى والأنبياء والأوصياء عليهم السلام، وعندهم جميع الكتب السماوية التى نزلت على اختلاف ألسنتها.

٤ – الصغير والكبير فى العلم سواء.

أما اعتقادهم بمصدر هذا العلم فهو كما جاء فى روايتهم عن الأئمة ما ورثوه عن الأنبياء فعندهم جميع الكتب التى نزلت من عند الله ويعرفونها على اختلاف ألسنتها، يقرأها الأئمة كما قرأها الأنبياء فكان أبو عبد الله يقرأها بالسريانية وكان بها أفصح لهجة من أى قس.

ويعتمد علم الأئمة على المصادر التالية.

١ – الجامعة: وهى صحيفة طولها سبعون ذراعا بذراع رسول الله ﷺ وإملائه وبخط على فيها كل حلال وحرام وكل ما يحتاج إليه الناس.

٢ – الجفر: وهو وعاء من آدم فيه علم النبيين والوصيين وعلم العلماء الذين مضوا من بنى إسرائيل. ففيه زبور داود وتوراة موسى وإنجيل عيسى وصحف إبراهيم.

٣ – مصحف فاطمة: وفيه مثل القرآن الذى يتداوله المسلمون ثلاثة مرات، بل ما فيه من هذا القرآن حرف واحد وهو وحى من الله إلى فاطمة ليس فيه من الحلال والحرام ولكن فيه علم ما يكون، عن أبى عبد الله قال لما قبض رسول الله ﷺ دخل على فاطمة من وفاته من الحزن فأرسل الله إليها ملكا يسلى غمها ويحدثها فأعلمت عليا بذلك فجعل يكتب كل ما سمع.

٤ – هناك إسراء ومعراج دائم مستمر عن طريقه يأخذ الأئمة العلم، ويروى عن أبى عبد الله قوله: إذا كان ليلة الجمعة وافى رسول الله ﷺ العرش ووافى الأئمة معه ووافينا معهم فلا ترد أرواحنا إلى أبداننا إلا بعلم مستفاد.

٥ – استمرار الوحى الإلهى، فالأئمة محدثون يحدثهم الملك فيسمعون الصوت ولا يرونه.

٦ – خلق على قبل آدم جعله على معرفة واطلاع على كل ما جرى وما أنزل من كتب سماوية من خلق آدم حتى مبعث محمد ﷺ ويروون عن الرسول ﷺ قوله: خلقت أنا وعلى من نور واحد قبل أن يخلق آدم بألفى عام.. ويروون أن الله كان وحيدا فى

(١) سورة العنكبوت الآية ٤٩.

السماء فى وحدانيته ثم خلق محمدا وعليا وفاطمة ثم مكثوا ألف دهر ثم خلق جميع الأشياء بعد ذلك.

وفى سبيل تأكيد هذه النظرة اضطروا إلى وضع الكثير من الأحاديث على لسان الأئمة نذكر منها:

- عن أبى ذر سمع رسول الله ﷺ يقول، إن معرفة على بالنورانية هى أكمل مراتب المعرفة وعندما سئل على عنها قال. إن معرفتى بالنورانية هى معرفة الله. ومعرفة الله بالنورانية هى الدين الخالص.
- عن على «كبر بطنى أن رسول الله علمنى بابا من العلم ففتح ذلك الباب ألف باب فازدحم بطنى فنفخت عن ضلوعى» والحديث موضوع لأن العلم فى الرأس وليس فى البطن.
- عن أبى عبد الله «ما فوض إلى رسول الله ﷺ فقد فوضه إلينا» وقال: «الأئمة بمنزلة رسول الله ﷺ» وقال: «لم يعلم الله محمدا ﷺ علما إلا أمره أن يعلمه عليا».
- عن الإمام الغائب «نحن صنائع ربنا والخلق بعد صنائعنا» وهم بذلك محيطون بكل ما فى الوجود منذ نشأته وحتى يوم القيامة، وهذا يحمل أيضا فكرة التفويض الذى قال به الغلاة.
- عن أبى جعفر «ما ادعى أحد من الناس أنه جمع القرآن كله كما أنزل إلا كذاب، وما جمعه وحفظه كما نزله الله تعالى إلا على والأئمة من بعده».

والهدف الرئيسى من وراء ذلك هو محاول تعويض الأئمة عن السلطة الدنيوية التى فقدوها بالسلطة الروحية الدينية لأنها أعم وأشمل فكل ما يتم من إرادة إلهية يكون بعلم الأئمة وكل ما يحدث بإرادتهم فقد أنهى الله أمره وهو أمر الله وإن رجالا إذا أرادوا أراد أو إذا أراد أرادوا».

يتضح بطلان هذه الدعوى والعقائد الغالية من خلال:

- فى خطب وأقوال على ما يشير إلى عدم وجود ذلك العلم:
- يقول فى النبى ﷺ.. «وخلف فيكم ما خلفت الأنبياء فى أممها كتاب ربكم مبينا حلاله وحرامه مفسرا مجمله ومبينا غوامضه».
- ومن كلام له فى الله عز وجل:... فلما مهد أرضه وأنفذ أمره اختار آدم خيرة من خلقه وجعله أول جبلته (خلقته) وأسكنه جنته.

- بعثنى رسول الله ﷺ إلى اليمن فقال وهو يوصينى: يا على ما خاب من استخار ولا ندم من استشار.
- من قوله لعثمان: ما أعرف شيئا تجهله، ولا أدلك على أمر لا تعرفه إنك تعلم ما نعلم ما سبقناك إلى شئ فنخبرك عنه ولا خلونا بشئ فنبلغكه وقد رأيت ما رأينا وسمعت ما سمعنا، صحبت رسول الله ﷺ كما صحبناه.
- ومن وصيته إلى الحسين.. من أعجب برأيه ضل ومن استغنى بفعله زل.

سب الصحابة

(١)

أول من أعلن سب صحابة الرسول ﷺ فرق الغلاة من السبئية والرافضة والكاملية، ويذكر ابن حزم أن أول من سب الصحابة هم الكيسانية الغلاة فكان أحدهم يأخذ البغل أو الحمار فيعذبه ويضربه ويعطشه ويجيعه، على أن روح أبى بكر وعمر فيه إيمانا منهم بتناسخ الأرواح. وكذلك يفعلون بالعنزة على أن روح عائشة فيها.

وبسيطرة البويهيين الفرس على الحكم أمروا بسب أبى بكر وعمر وعثمان وكتبوا السباب على أبواب المساجد. وبقيام الدولة الصفوية فى فارس اتخذ السب طابعا رسميا، فكان مع الاضطهاد وسيلة لامتحان المسلم فى إيران وأعلن فى الشوارع والأسواق وعلى المنابر، ووضع الكركى صاحب الحظوة عند الشاه طهماسب رسالة جوَّز فيها السب بعنوان «نفحات اللاهوت فى لعن الجبت والطاغوت»، وكان لا يركب ولا يمضى إلا والسباب يمشى فى ركابه مجاهرا بلعن الشيخين، ولا يزال المتشيعون الفرس يذكرون يوم مقتل عمر إلى يومنا هذا فيحتفلون بمقتله كل عام. ولما لم يكن هناك سبب دينى يبرر لهم سب الصحابة فقد برروا ذلك بما قدموه على لسان الأئمة من تأويل لآيات القرآن وانتحال الأحاديث والتى لم تستطع الصمود أمام الصريح الواضح من آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ وأقوال الأئمة.

اعتمد التشيع الفارسى فى سب الصحابة على:

١ - تأويل وتحريف الآيات ومنها:

- عن أبى جعفر قال: إن هاتين الآيتين نزلتا هكذا فى أبى بكر وعمر «حتى إذ جاءنا يقول أحدهما لصاحبه ياليت بينى وبينك بعد المشرقين فبئس القرين فقال الله لنبيه ﷺ قل لفلان وفلان وأتباعهما لن ينفعكم اليوم إذا ظلمتم آل محمد حقهم أنكم فى العذاب مشتركون»،

ولملاحظة التحريف فالآية كما هى فى القرآن ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيۡتَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَ بُعۡدَ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ إِذ ظَّلَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾[1].

– عن أبى جعفر قال: إنهم المقصودون بهذه الآيات ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ ﴾[2]. ﴿ وَمِنۡهُم مَّن صَدَّ عَنۡهُۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ ﴾[3]. ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارًا ﴾[4].

– عن أبى عبد الله فى قوله عز وجل: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ﴾[5] قال هم قريش قاطبة.

– عن أبى عبد الله فى قوله عز وجل: ﴿ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ ﴾[6] قال: الأول والثانى والثالث.

– عن أبى عبد الله فى قوله عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ﴾[7] و﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَى ﴾[8] قال: نزلت فى فلان وفلان وفلان.

٢ – أحاديث مفتراة على الرسول ﷺ.

– وصفهم بالأشرار «إن لم تحفظوا فيه (على) وصيتى اضطرب أمركم ووليكم أشراركم».

– قال على لعثمان سمعت رسول الله ﷺ يلعنك ثم لم يستغفر الله لك.

– عن على أن تسعة من العشرة المبشرين بالجنة هم فى النار. وقال: والله إنهم لفى تابوت فى شعب فى جب فى أسفل درك فى جهنم، سمعت ذلك من رسول الله ﷺ.

– عن أبى جعفر قال رسول الله ﷺ: وويل للمخالفين لهم (للأئمة) من أمتى. اللهم لا تنلهم شفاعتى.

٣ – أحاديث مفتراة على الأئمة:

– عن على، أول من بايع أبا بكر إبليس وأن الرسول ﷺ أمرنى إن وجدت عليهما أعوانا أجاهدهم وبشر أبا بكر وعمر ومن اتبعهما بسخط من الله وعذاب وخزى وأنهما فى

(١) سورة الزخرف الآيات ٣٨ – ٣٩.
(٢) سورة البقرة الآية ١٥٩.
(٣) سورة النساء الآية ٥٥.
(٤) سورة النساء الآية ٥٦.
(٥) سورة ابراهيم الآية ٢٨.
(٦) سورة الحجرات الآية ٧.
(٧) سورة النساء الآية ١٣٧.
(٨) سورة محمد الآية ٢٥.

تابوت من نار وقال: مازال رسول الله ﷺ يتألفهم ويقربهم ويجلسهم عن يمينه وشماله حتى أذن الله فى إبعادهم بقوله: ﴿وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾[1].

– عن أبى جعفر، ارتد الناس بعد النبى ﷺ إلا ثلاثة نفر، المقداد وأبو ذر وسلمان ثم إن الناس عرفوا ولحقوا بعد.. ووصف أبا بكر وعثمان وعمر بالجبت والطاغوت وأئمة الضلالة والدعاة إلى النار فهم ملعونون.

وعنه، إنهم التسعة المفسدون فى الأرض (أبو بكر وعثمان وعمر وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن وأبو عبيدة) وعنه أن رسول الله ﷺ سماهم التسعة المنافقين.

– عن الحسن بن على: عائشة يعلم الله والناس صنيعها وعداوتها لله ورسوله وأهل البيت.

– عن أبى عبد الله: إن ما من أهل بيت إلا ومنهم نجيب من أنفسهم وأنجب النجباء من أهل بيت سوء محمد بن أبى بكر وإن محمدا بايع عليا على البراءة من أبيه.. وإن النجابة من قبل أمه لا من قبل أبيه، ووصف عائشة بأنها تكذب على رسول الله، ووصف أهل المدينة بأنهم من أهل مكة وأهل مكة يكفرون بالله جهرة. قال عن الصحابة، دخلوا الكعبة وتعاهدوا وتعاقدوا على كفرهم وجحودهم فبعدا للقوم الظالمين. وقال إن الجبت والطاغوت هم فلان وفلان وفلان. وعنه أن أبا بكر كان مفطرا فى رمضان يشرب الخمر ويقول الشعر فى هجو محمد. وعنه أن عمر كان يصف محمدا بالساحر الكذاب. ويروون عنه أنه كان يلعن فى نهاية كل صلاة مكتوبة أربعة من الرجال وأربعا من النساء وعنه «ثلاثة كانو يكذبون على رسول الله ﷺ: أبو هريرة وأنس ابن مالك وامرأة».

– عن الرضا فى حديث طويل، كذبتهم والله أنفسهم ومنتهم الأباطيل فارتقوا مرتقى صعبا تزل عنده إلى الحضيض أقدامهم، راموا إقامة الإمام بعقول حائرة بائرة ناقصة وآراء مضلة ﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾[2].. وقالوا إفكا وضلوا ضلالا بعيدا.. تعدوا الحق ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم فذمهم الله ومقتهم وأتعسهم.

واعتمادا على ما تقدم، وصفهم الطبرسى بالعجل والسامرى وذكر روايا عن أن أنصار على وصفوهم بالكفر والفسق والظلم والنفاق والاغتصاب والمرتدين وأبناء الخطيئة والجحود والعصيان والخيانة والجبت والطاغوت وأئمة الضلال والمنافقين وفراعنة الأمة، حتى إنهم

(١) سورة المزمل الآية ١٠.

(٢) سورة التوبة الآية ٣٠، سورة المنافقون الآية ٤.

نسبوا إلى عمر إفشاء الزنا ليكثر محبوه من أولاد الزنا. وهكذا وضع المتشيعون الفرس الرسائل في تجويز السب واللعن ونسبوا الأدعية وروجوها بين العامة. ومن هذه الأدعية:

– اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد وألعن صنمى قريش وطاغوتيهما وابنتيهما.

– العن صنمى قريش وجبتهما وطاغوتيهما وإفكيهما وابنتيهما. اللهم العنهما وأتباعها وأولياءهما وأشياعهما.. قلبا دينك وحرفا كتابك وعطلا أحكامك وأبطلا فرائضك وأشركا بربهما فعظم ذنبهما وخلدهما فى سقر.. اللهم العنهم بكل آية حرفوها وفريضة تركوها وسنة غيروها.

الرد على ذلك:

١ – يقول عز وجل:

﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ ﴾(١).

﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾(٢).

﴿ لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾(٣).

﴿ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ ﴾(٤).

﴿ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ ﴾(٥).

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا ۚ وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ ﴾(٦).

---

(١) سورة الحشر الآية ٨.

(٢) سورة التوبة الآية ١٠٠.

(٣) سورة الفتح الآية ١٨.

(٤) سورة الحديد الآية ١٠.

(٥) سورة آل عمران الآية ١٩٥.

(٦) سورة الأنفال الآيات ٧٢ – ٧٤.

﴿ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾[1].

﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ﴾[2].

﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ﴾[3].

فهل يجوز على الله أن يرضى عنهم وهو يعلم أنهم سيرتدون على أعقابهم وينكثون ويأتون الإفك والضلالة ويدعون إلى النار ويجحدون بعد وفاة رسوله ﷺ أم أنه بدا لله فى ذلك؟

أما عائشة وحفصة فإن الله أوجب حكم أمومة زوجات النبى ﷺ على كل مسلم ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ﴾[4] هذا فضلا عن فضل الصحبة للرسول ﷺ وأنهم أزواجه فى الآخرة كما هن فى الدنيا. وروى عن عمار بن ياسر قوله فى عائشة «إنى أقول لكم والله إنى لأعلم أنها زوجة رسول الله ﷺ فى الجنة كما هى زوجته فى الدنيا»[5]. إن الانتقاص منهن انتقاص من الرسول ﷺ. أم أنهم تناسوا قول الله عز وجل ﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾ ﴾[6]. وإن من نقص رسول الله ﷺ فكأنما نقص الله لأنه تكذيب لقوله عز وجل.

٢ – أما رسول الله ﷺ فقد بشرهم بالجنة ووصفهم بالصديق والشهيدين[7]. وبشر أبا بكر بأنه عتيق الله من النار. وقال عنه ﷺ: «إن الله بعثنى إليكم فقلتم كذبت وقال أبو بكر صدقت وواسانى بنفسه وماله».

٢ – ومن أحاديث الرسول فى صحابته:

○ أرحم أمتى بأمتى أبو بكر وأشدهم فى أمر الله عمر. وأصدقهم حياء عثمان وأقضاهم على وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل وأفرضهم زيد بن ثابت. ولكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة.

---

(١) سورة التوبة الآية ٤٠.
(٢) سورة النحل الآية ٤١.
(٣) سورة التوبة الآية ١١٧.
(٤) سورة الأحزاب الآية ٦.
(٥) ابن حزم. الملل والنحل: ٤/ ١٣٤.
(٦) سورة النور الآية ٢٦.
(٧) صحيح البخارى ٥/ ١٠ – ١١.

- «لاتسبوا أحدا من أصحابى فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولانصيفه»[1].
- «لو كنت متخذا من أهل الأرض خليلا لاتخذت ابن أبى قحافة خليلا ولكن صاحبكم خليل الله».
- «الحياء من الإيمان والإيمان فى الجنة والبذاء من الجفاء والجفاء فى النار».
- «لن يلج النار أحد شهد بدرا والحديبية».
- «الله الله فى أصحابى. لا تتخذوهم غرضا فمن أحبهم فبحبى ومن أبغضهم فببغضى ومن آذاهم فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه».
- روى عنه ﷺ أنه قال لأبى بكر وعمر: «هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين».
- «لا تسبوا قريشا ولا تبغضوا العرب ولا تذلوا الموالى».

فهل كان رسول الله ﷺ مخطئا فى حكمه عليهم؟ وهل أخطأ عندما تزوج عائشة وحفصة ابنتى أبى بكر وعمر؟ وهل أخطأ عندما زوج ابنتيه لعثمان ابن عفان فسمى ذا النورين؟ وقال ﷺ فيه: «زوجته ابنتين ولو عندى ثالثة لفعلت».

٣ - أقوال الأئمة:

- يقول على رضي الله عنه لأتباعه فى صفين. إنى أكره لكم أن تكونوا سبابين وقد بلغه أن حجر بن عدى وعمرو بن الحمق يظهران شتم معاوية ولعن أهل الشام. فأرسل إليهما أن كفا وقال: كرهت لكم أن تكونوا شتامين لعانين ولكن قولوا اللهم احقن دماءنا ودماءهم وأصلح ذات بيننا وبينهم.

فهل يسب أبا بكر وقد وصفه بالأخ وهل يسب عمر وقد قال فيه: لله بلاء فلان فقد قوم الأود وداوى العمد وأقام السنة وخلق الفتنة. وذهب نقى الثوب قليل العيب. أصاب خيرها وسبق شرها. أدى إلى الله طاعته واتقاه بحقه.

(٢)

أن يطلق الإمام آية الله روح الله الخمينى حمامات الدم على أيدى أتباعه على امتداد إيران أو تعقب من يراهم أعداء خارج إيران. فذلك ما رآه.. وقدره وهو أعلم بأعدائه

(١) صحيح البخارى ٥/ ١٠.

وأسلوب التعامل معهم. سواء وافقنا على هذا الأسلوب أو رفضناه.. وأن يسير الإمام قواته ضد الأكراد فى الشمال.. أو العرب فى عربستان أو أن يتمسك بالسيادة على الجزر الثلاث أبو موسى وطنب الصغرى وطنب الكبرى التى سبق أن احتلتها قوات الشاه متمسكا بأهداب عنصرية آرية تتناقض مع مبادئ الإسلام الذى يرفع رايته عاليا.. فذلك أيضا متروك أمره لأطراف الصراع.. ولتطورات الأحداث.

وعندما يصب الإمام جام غضبه على الاتحاد السوفيتى أو العراق.. أو.. أو.. فتلك مسئوليته كقائد ثورة وسيحصد ثمار سياساته هو وأنصاره.. ووطنه ومواطنوه.. وحتى لو امتد غضب الإمام الزعيم أيا كانت الألقاب التى يجب أن ينادى بها إلى دول أخرى فذلك قدر الشعب الإيرانى.

أما أن ينسى الإمام الزعيم آية الله روح الله الخمينى مكانته الدينية وما تفرضه عليه من إيمان بالله وبرسوله وبكل الرسل والأنبياء الذين سبقوا رسول الله محمدا ﷺ ويتجاوز حدود الدين فذلك أمر يخص كل المسلمين، ولهم أن يقولوا للإمام.. قف.. لقد تجاوزت..

ولقد تجاوز الإمام بالتصريح المنقول عنه فى منتصف عام ١٩٨٠ ونصه:

«إن المهدى الذى بشرت به الأحاديث النبوية والقادم حسب هذه الأحاديث فى آخر الزمان هو الإنسان الكامل. بل والأكثر كمالا من النبى محمد ﷺ»ويقول الإمام الخومينى فى هذا المجال إن كل الأنبياء فشلوا فى تحقيق العدل والإصلاح وأن النبى محمدا فى رأى خومينى فشل هو الآخر فى هداية الناس. ولن يفلح فى هداية الناس إلا المهدى».

وقال خومينى: «إن الاحتفال بمولد المهدى الذى يعتبره الشيعة حيا يرزق أهم من الاحتفال بمولد محمد لأن المهدى هو القائد الذى ينتظره المؤمنون جميعا ليقودهم إلى النصر على الضلال «ولن نناقش الإمام فى وجهة نظره فى المهدى المنتظر.. فهو كزعيم شيعى له أن يجتهد وأن يصبح صاحب رأى ووجهة نظر حتى ولو لم يكن مستندا إلى نص.

أما أن يصف الإمام المهدى المنتظر بأنه الإنسان الكامل بل والأكثر كمالا من النبى محمد ﷺ فذلك خروج من الإمام ببدعة.. وكل بدعة ضلالة.. وكل ضلالة فى النار.. فالنص وإجماع الفقهاء يؤكد كمال المصطفى محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، كقوله تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1] وقول الرسول «أدبنى ربى فأحسن تأديبى».

(١) سورة القلم الآية ٤.

وأن يطلع علينا الإمام برأيه الجديد المتمثل فى فشل الأنبياء فى تحقيق العدل والاصلاح.. فذلك يدفعنا إلى سؤاله وكيف كان ذلك؟

الذى لا شك فيه أن كل رسول وكل نبى قد حقق إرادة الله ومشيئته وسار على الطريق الذى رسمه الله له..

وقد وفق كل منهم فى تحقيق العدل والإصلاح فى إطار العصر والظروف التى بعث فيها.. وأن يمتد رأى الإمام إلى النبى محمد عليه الصلاة والسلام بأنه فشل أيضا فى هداية الناس.. فذلك خطأ وقع فيه الإمام الذى قرأ قوله تعالى ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ﴾[1].

أى أن الهداية هنا مرتبطة بإرادة الله..

فهل يدرك الإمام إلى أين يقوده هذا الرأى الذى طلع به علينا؟..

وإذا لم يكن انتشار الإسلام من الأندلس ووسط أوروبا غربا إلى الصين شرقا يمثل بالنسبة للإمام نجاحا للنبى الأمى فى هداية الناس، فأى مقياس استخدمه الإمام للوصول إلى هذا الرأى أو هذا الاستنتاج الجديد..؟

وأن يرى الإمام أن الاحتفال بمولد المهدى المنتظر أهم من الاحتفال بمولد النبى ﷺ.. بعد أن قال ما قال فى الأنبياء والرسل وخاتم الرسل فإن ذلك يعد أمرا يسيرا.. قياسا بما سبق له قوله..

ويبقى السؤال للقادة وقادة الرأى فى العالم الإسلامى.. لماذا صمتوا فى مواجهة هذا الذى قال به الخومينى لقد مضى وقت طويل على هذا التصريح ولم يكن هناك سوى استنكار لرابطة العالم الإسلامى ومقرها السعودية.

نعم لقد تأخر هذا الاستنكار طويلا قبل صدوره.. إلا أنه رأى شجاع، إن الحساسية أو الخوف لا يمكن أن يمتد تأثيرهما إلى حد الصمت على مثل هذه الآراء المنافية للإسلام خاصة عندما تصدر من رجل من ألقابه الإمام.. آية الله.... روح الله.. وصفته، زعيم ثورة دينية إسلامية، فشخصية الرجل وقيادته لثورة الشعب الإيرانى المسلم ووضعه يحتم على كل مسلم أن يعلن استنكاره لهذه الآراء الغريبة، حتى لا تترك لتنتشر ويظن الناس فى العالم الإسلامى أو خارج هذا العالم أنها آراء مقبولة إسلاميا..

---

(١) سورة القلم الآية ٥٦.

البويهيون.. والفاطميون

ما إن بدأ العصر البويهى الفارسى وبسبب تستره بالتشيع حتى بالغ الفرس باختراع مراسيم جديدة للمناسبات الدينية متظاهرين بالتشيع طلبا للسلطان حتى إن معز الدولة عزم على تحويل الخلافة إلى العلويين، ووافقه على ذلك مستشاروه، غير أنه تراجع عندما أشار عليه أحدهم بأن ذلك يهدد سلطانه فصرف نظره عن ذلك وترك ما عزم عليه.

ويمكن إيجاز مستحدثات العصر البويهى بما يلى:

١ – الكتابة على أبواب المساجد لعن أبى بكر وعمر وعثمان.

٢ – اغلاق الأسواق فى عاشر محرم، والأمر بلبس النساء المسوح من الشعر والخروج فى الأسواق حاسرات عن وجوههن ناشرات شعورهن يلطمن وجوههن ينحن على الحسين.

٣ – إظهار الزينة فى الثامن عشر من ذى الحجة وفتح الأسواق ليلا وضرب الدبادب والبوقات وإشعال النيران فرحا بعيد غدير خم.

٤ – ظهور أول قرآن محرف، والادعاء بأنه مصحف عبد الله بن مسعود، وهو مخالف للمصاحف كلها.

٥ – التعاون بين أنصار التشيع الفارسى ويهود بغداد.

وعاصر ظهور البويهيين الفرس فى العراق ظهور الفاطميين فى مصر والذين تستروا بالتشيع أيضا طلبا للسلطان وادعوا نسبتهم إلى فاطمة، وآل البيت منهم براء. ومن مستحدثاتهم:

١ – إضافة حى على خير العمل إلى الآذان وتثنية الأذان والتكبير فى الإقامة.

٢ – السجود للعبد فكان الحاكم بن المعز الفاطمى أول من أمر الناس بالسجود له، فإذا ذكر الخطيب اسمه على المنبر وجب قيام الناس واذا كانوا وقوفا خروا سجدا له حتى ليسجد بسجودهم من فى السوق من الرعاع.

وبرغم كل المباحث العقلية بقى الفكر الشيعى الاثنى عشرى متصلا بالسلف فى الفترة المتأخرة حتى مجىء الصفويين حيث أصبح التشيع فرقة دينية ضد المجتمع الإسلامى. فخلال فترة التحريف البويهى الفاطمى حافظ التيار العربى السلفى على وجوده وعلى مبادئه الأصلية. ففى عام ٣٥٥ هـ كتب أبو عبد الله محمد بن الحسين، من أولاد الحسين بن على وكان فى الديلم إلى الآفاق وإلى بغداد بعد أن ظهر سب أبى بكر وعمر يدعو إلى الجهاد فى سبيل الله لمن سب أصحاب رسول الله ﷺ.

وكان أبو عبد الله العلوى الحسن بن داود من أولاد زيد بن الحسين شيخ آل رسول الله ﷺ فى عصره بخراسان وسيد العلويين فى زمانه. قال الحاكم: صحبته مدة فما سمعته ذكر عثمان إلا قال الشهيد ويبكى. وماسمعته ذكر عائشة إلا قال الصديقة بنت الصديق حبيبة حبيب الله ويبكى.

الفترة الصفوية

قبل الخوض فى موضوع التحريف الصفوى لابد من معرفة ملوك هذه الفترة ومدى ارتباطهم بالإسلام والتشيع وهم المسؤولون عن التراكمات والإضافات المستحدثة والتى لم يعرفها التشيع السلفى فأساءوا إليه وشوهوا سمعته فكانوا بحق فرقة من فرق الغلاة، بل من أكثرها غلوا.

مؤسس الدولة الصفوية إسماعيل الصفوى الذى تبنى التشيع فى الدولة رسميا وعمل على نشره بشتى الوسائل. شخصيته تجمع النقائض فهو من جهة قاسيا متعطشا للدماء إلى حد لا يكاد يصدق بينما كان من الجهة الأخرى وسيما ذا أخلاق رقيقة محبوبا من جنوده، كان يعلن أنه لا يتحرك إلا بمقتضى أوامر الأئمة لذلك فهو معصوم وليس بينه وبين المهدى فاصل. ووصف ولايته بأنها صادرة من ختم النبوة وكذا الولاية وزعم أنه المقصود بالآية ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ﴾[1] وأوصلوا ظهوره بنبوءة لعلى بن أبى طالب فكان من الغلاة فى على ثم غلا فيه أصحابه حتى العبادة وسجدوا له.

اعتمد على نصر الله الزيتونى فى نشر المذهب الإمامى واعتبر المجلد الأول من قواعد الأحكام لابن المطهر الحلى الأساس للتعليم والتعلم وأغرى العديد من علماء الشيعة من جبل عامل بالهجرة إلى إيران والعمل لبناء الدولة على أساس شيعى.

أما طهماسب، فإن الأحلام قد لعبت دورا هاما فى حياته. كان يزعم رؤية الإمام الرضا وكان يتعاطى الخمر حتى العشرين من عمره أما ابنه إسماعيل فهو شخصية غامضة أفسدتها المسكرات وأفسد والده حياته إذ ألقاه طول حياته فى السجن وقضى نحبه مسموما على الأرجح فى منزل غلام.. يتعشقه.

كذلك تردى عباس الثانى فى مهاوى الإدمان على الخمر الذى ذهب بنضرته، وعجل بوفاته وكذلك ابنه سليمان أما حسين بن سليمان فكان منحطا ضعيفا أوكل شئون الدولة إلى رجال الدين فأساءوا اصطناع السلطة.

(١) سورة مريم الآية ٥٤.

ومن أبرز مستحدثات هذا العصر:

١ – السب المقترن بالاضطهاد الطائفى، فقد اتخذ من سب الخلفاء الراشدين الثلاثة وسيلة لامتحان الإيرانيين، وأمر بأن يعلن السب فى الشوارع والأسواق وعلى المنابر.

٢ – نشر التشيع بالإرهاب والقتل. فعندما فتح إسماعيل تبريز وأراد فرض التشيع على أهلها بالقوة، نصحه مستشاروه أن لا يفعل لأن ثلثى سكانها من السنة فأجاب: أنا مكلف بذلك وإن الله والأئمة المعصومين معى، وإنى لا أخاف أحدا فإذا وجدت من الناس كلمة اعتراض شهرت سيفى بعون الله فيهم فلا أبقى على أحد منهم حيا.

٣ – تنظيم الاحتفال بذكرى مقتل الحسين وإضافة وتطوير مجال التعزية.

٤ – إقامة علاقات متينة مع الكنيسة المسيحية على حساب حكومة الإسلام المتجسدة آنذاك فى الحكم العثمانى، كما فرض على رجال الدين إشراك شخصيات مسيحية فى مواكب التعزية خاصة وأنهم اقتبسوا منهم كثيرا من الطقوس الجماعية الدينية وألبسوا مظاهر المسيحية محتوى شيعيا إيرانيا بطريقة خلقت فى إيران رموزا وطقوسا لم يكن لها سابقة فى تأريخ إيران ولا فى الدين الإسلامى ولا فى المذهب الشيعى.

٥ – الأخذ بالشهادة الثالثة أى «أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله وأن على ولى الله» ويذكر ابن بابوية أن المفوضة لعنهم الله هم الذين زادوا فى الأذان أشهد أن عليا ولى الله أو أشهد أن عليا أمير المؤمنين وهذا يعنى أن فكر الغلاة أصبح مصدرا للتشيع الفارسى وهو ما رفضه الأئمة وعلماء الشيعة والعرب.

٦ – إضافة حى على خير العمل إلى الآذان، وكما يروى عن الحسين بن على بن أبى طالب.

٧ – السجود على التربة الحسينة.

٨ – السجود للعبد.

٩ – تغيير اتجاه القبلة فى مساجد فارس.

١٠ – ضرورة الدفن فى النجف.

١١ – إجراء مرتبات ضخمة لرجال الدين. ومنحهم قرى زراعية لأخذ خراجها مما أدى إلى تحول الأوقاف إلى ملكية خاصة لرجال الدين. وقد بلغ عدد الذين تقاضوا رواتب شهرية أيام السلطان حسين من رجال الدين سبعين ومن هنا أصبح رجل الدين يتمتع بمقدرة كبيرة على جعل الحلال حراما والحرام حلالا، وبوسعه أن يجعل كل شئ

شرعيا وقانونيا وقرآنيا. فقد طلق الملك المغولى خدا بندة زوجته ثلاثا وأفتى له ابن المطهر الحلى ببطلان هذا الطلاق: «ومنهم من يطلب الدنيا بعمل الآخرة ولا يطلب الآخرة بعمل الدنيا. واتخذوا ستر الله ذريعة إلى المعصية».

ونسى رجال الدين هؤلاء قول رسول الله ﷺ: «من أرضى سلطانا بما أسخط الله خرج من دين الله».

الرجعة

ارتبطت الرجعة بعقيدة الإمامة والاثنى عشر إماما، باعتبارها ملازمة لعقيدة المهدى الغائب. ومعناها الإحياء بعد الموت والإماتة الثانية ثم الإحياء والبعث يوم القيامة، وضرورتها ترتبط بالانتقام من الذين خالفوا الأئمة أو ظلموهم حقهم. وهى بهذا المفهوم إحياء جماعة ظلموا وآخرين ظلموا أو كما يقولون إحياء جماعة لمصلحة قدرها الله، فيعيد الروح إلى أجسامهم الأولى، فيكافئ قوما وينتقم من آخرين فيعز ويذل ويميتهم مرة أخرى. وتمثل هذه الرجعة حسابا تمهيديا يسجل انتصار الأئمة على أعدائهم، فيرجع الإمام الغائب لينتقم من أعدائه الذين أنكروا حق آل البيت ويرجع الحسين وهو أول من تنشق عنه الأرض ومعه من استشهد من أنصاره ويرجع يزيد اللعين وأنصاره لينتقم منهم الحسين ويرجع الإمام على فتكون معه عصا موسى وخاتم سليمان فيلاقى أصحابه قرب الكوفة ليقاتل الشيطان، ثم يظهر محمد ﷺ على رأس جيش من الملائكة للقتال بجانب علىّ وهناك من قال برجعة كل الأمم السابقة، فترجع أمة آدم وشيث ونوح وإبراهيم واليهود والنصارى.

لقد ورث التشيع الفارسى هذه العقيدة من الغلاة. فالكيسانية قالت برجعة الناس فى أجسامهم التى كانوا عليها، ويرجع محمد ﷺ والأنبياء ويرجع علىّ ليقتل معاوية وآل أبى سفيان ويهدم دمشق ويغرق البصرة، وأصحاب أبى كرب وحمزة وصايد وبيان ينتظرون رجوعهم ورجوع الماضين من أسلافهم.

واعتمد التشيع الفارسى فى التدليل على الرجعة بتأويل الآيات القرآنية ومنها:

- ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾[1] تعنى الرجعة، وقد ورد فى تفسير الآية أن المقصود بهم الكفار الذين يسألون الله وهم وقوف بين يديه عز وجل عندما يرون النار يطلبون الرجعة اعترافا بذنوبهم[2].

(١) سورة غافر الآية ١١.

(٢) ابن كثير التفسير: ٦/ ١٢٧.

- ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ ﴾[1] قال على بن الحسين: نحن أهل البيت وشيعتنا كمثل موسى وقومه وأعداؤنا وحزبهم كفرعون وقومه.

والآية صريحة أن موسى لم يمت لكى يرجع لينتقم من ظالميه وإنما أوحى الله عز وجل إلى أمه إن خافت عليه من فرعون أن تلقيه فى الماء بعد وضعه فى ما يحفظه من الغرق فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا[2].

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ ﴾[3].

وفى هذه الآية يضرب الله عز وجل مثالا على قدرته وفضله على أهل مدينة خرجوا منها خوف الموت إذ وقع فيها الطاعون فأماتهم ثم أحياهم وليبين لهم أن الفرار من الموت غير منج.

أما الآية ﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾[4] فيفسرها ابن إبراهيم بأنها الرجعة.

ويقول أبو جعفر أن الآية ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ ﴾[5] تعنى قيام محمد ﷺ فى الرجعة.

وهذه الآية الكريمة واضحة المعنى ولا تحتاج إلى تفسير، فالله سبحانه وتعالى يخاطب رسوله الكريم أن ينذر الناس ويدعو إلى الإسلام[6].

إن فى آيات القرآن الكريم الدلالة الواضحة على أن هنا نشأة أولى من العدم يصير بعدها الناس إلى الموت عند آجالهم ثم يبعثون يوم القيامة وهى النشأة الأخرى فيحاسب الناس ويوفى كل عامل عمله يقول عز وجل: ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[7] ويقول عز وجل: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ

(١) سورة القصص الآية ٧.

(٢) ابن كثير التفسير: ٥/ ٢٦٧ عبد الله شبر، التفسير ٣٧٠.

(٣) سورة البقرة ٢٤٣.

(٤) سورة القصص الآية ٨٥.

(٥) سورة المدثر الآيات ١ - ٢.

(٦) ابن كثير التفسير: ٧/ ١٥٣ عبد الله شبر، التفسير ٣٥٨.

(٧) سورة المؤمنون الآيات ١٤ - ١٦.

ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾[1].. فالقادر على البداءة والإحياء من العدم قادر على الإعادة ولكنه لا يعيدهم إلا يوم القيامة، يوم الفصل حيث يجزون ما كانوا يعملون.. ويقول تعالى: ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾﴾[2] وفي هذه الآيات أقسم سبحانه وتعالى ليجمعن عباده إلى ميقات معلوم هو يوم القيامة.

وفي أقوال الأئمة عليهم السلام تأييد صريح لما جاء في القرآن الكريم:

– من خطبة لعلي في أحوال الدنيا، وكل مدة فيها إلى انتهاء وكل حي فيها إلى فناء.... أولم تروا إلى الماضين منكم لا يرجعون وإلى الخلف الباقين لا يبقون.. وقوله: «فبادروا المعاد وسابقوا الآجال.. فإن الناس يوشك أن ينقطع بهم الأمل ويرهقهم الأجل، ويسد عنهم باب التوبة، فقد أصبحتم في مثل ما سأل إليه الرجعة من كان قبلكم...» ففي قوله هذا إشارة إلى ما جاء في القرآن ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ﴾[3].

– وقوله: «حتى إذا تصرمت الأمور وتفضت الدهور وأزف النشور أخرجهم من ضرائح القبور.. عليهم لبوس الاستكانة وضرع الاستسلام والذلة.. وأرعدت الأسماع لزبرة الداعي إلى فصل الخطاب ومقايضة الجزاء ونكال العقاب ونوال الثواب»[4].

أصل عقيدة الرجعة

لم يذكر القرآن رجعة وحياة ثانية إلا في يوم القيامة، وطالبنا بالإيمان بها، وكان البعث قطب الرحى في الإيمان، وقد أورد القرآن الكثير من الأدلة على البعث، ورد الكفار بالقول كما جاء في سور عديدة، ما هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين أو ما يهلكنا إلا الدهر ﴿وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾﴾[5]، ﴿مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾﴾[6] هذه هي الرجعة للحياة التي تحدث عنها القرآن ودعا إلى الإيمان بها.

فمن أين تسربت للمسلمين هذه المقولة، مقولة رجعة فلان أو فلانة للحياة قبل يوم

(١) سورة الجاثية الآيات ٢٥ – ٢٦.
(٢) سورة الأنعام الآية ١٢.
(٣) سورة المؤمنون الآيات ٩٩ – ١٠٠.
(٤) محمد عبده، شرح النهج: ١/ ١٣٤ – ١٣٦.
(٥) سورة الإسراء الآية ٤٩.
(٦) سورة يس الآية ٧٨.

القيامـة؟ يرى الكثير من المحققين أنها فكرة تسـربت للوسـط الإسـلامى علـى يد الذين أسـلموا من أهل الكتاب. فحين أسـلم عبد الله بن سبأ فى عهد عثمان رضي الله عنه، أخذ يبث فكـرة الرجعـة التى عرفها من كتب اليهود من قبل إسـلامه. ويبثها فى أسـلوب التعظيم والتكريم للذى يدعى أنه رجع أو سيرجع حتى تدخل الفكرة فى أدمغة المحبين لهذا الذى سيرجع.. فمحال أن يظل ميتا..

يقول الأسـتاذ أحمد أمين[1]: «وممن قال بالرجعة فى العصر الأول عبد الله بن سـبأ. فقد كان يقول برجوع محمد ﷺ بعد موته وكان يبرر قوله ويجلب له الحماس. بأن محمدا ليس أقل من عيسـى ثم نقل هذا إلى الإمام على. وكان يتحدث وسـط الناس بأنه لا يمكن تصديق أن عليا قتل وانتهى ولو جاءوا له برأسه مفتتا فى سبعين صرة.

وسـرت هذه الفكرة عند الذين يجدون فى رواجها مصلحة لهم. فاسـتغلوها لصالحهم واسـتغلها الشيعة كما استغلها الأمويون والعباسيون وكانت أساسا للقول بفكرة المهدى عند الشيعة، بل عند غيرهم أيضا.

وأصلها فى اليهودية والمسيحية اعتقادهم بأن النبى «إيليا» قد رفع إلى السماء. وأنه لابد أن يعود إلى الأرض فى آخر الزمان لإقامة دعائم الحق والعدل مثل نزول عيسى عليه الصلاة والسـلام.. ويقول كولد زيهر[2] «ولا شـك أن إيليا هو النموذج الأول لأئمة الشيعة المختفين الغائبين الذين يحيون لا يراهم أحد، والذين سيعودون يوما ما كمهديين منقذين للعالم».

وبحث فكرة الرجعة عند الإمامية الشيخ محمد رضا المظفر. فقال: «إن الذى تذهب إليه الإماميـة أخذا بما جاء عن آل البيت عليهم السـلام. أن الله تعالى يعيد قوما من الأموات إلى الدنيـا فـى صورهم التى كانوا عليها، فيعز فريقا ويذل فريقا آخر وينصف المحقين من المبطلين. والمظلومين من الظالمين ويعنون أبا بكر وعمر وعثمان وكل من تولى الحكم من غير آل البيت».

وما قاله عبد الله بن سبأ عن رجعة النبى وعن رجعة الإمام على تلقفه المغرضون المتعصبون من الشـيعة وروجوه. ووجدوا فيه عزاء لهم بعد أن انتقلت السـلطة من الإمام على وبنيه إلى الأمويـين ونفخوا فى هذه الفكرة وكبروها. وتوعدوا خصومهم بأن عليا سـيرجع ونلتف حوله وينتقم من خصومه.

وكان أول مـن التقـط هذه الفكرة أنصار محمد بن علـى بن الحنفية رضي الله عنه المتوفى عام

(١) ضحى الإسلام ج ٣ ص ٢٣٧ فى الكلام عن المهدى.

(٢) فى هامش ص ١٦٩ من كتاب تاريخ الشيعة الإمامية.

٨١ هـ والذى خرج على الأمويين وهزم فقال أنصاره إنه مختف بجبل رضوى، وسيظهر لينتقم من خصومه.

وليس بغريب أن يقال برجعة ابن الحنفية. فكل فرق الشيعة تقول بالرجعة. كل فرقة تقول برجعة الإمام الذى تعتقد فيه وتنتظره.

مع أن ابن الحنفية مات عام ٨١ هـ وصلى عليه والى المدينة. ودفن بالبقيع[1] وقد كانت وراءه فرقة الكيسانية[2]، وبالغت حتى ادعت له الألوهية. قال بذلك رجل اسمه حمزة بن عمارة البربرى. ادعى لنفسه النبوة، وادعى لمحمد الألوهية وأحل المحارم وأفسد أفكار الناس وأتى من الموبقات الشىء الكثير وقد تزعم المختار بن عبيد الثقفى هذه الفرقة. وكان يلقب بـ «كيسان أيضا»، لقد صار القول بالرجعة أمرا مستساغا. ومركبا سهلا. يركبه كل واحد لخدمة أغراضه الخاصة. والرجعة قد تكون من غيبة طويلة كغيبة محمد ابن الحنفية هذا، أو غيبة الإمام الثانى عشر عند الاثنى عشرية. وقد تكون رجعة وإحياء بعد موت كما يقول بعضهم.

ومع أن هذه الرجعة ادعاء عريض واسع لأنه إحياء بعد موت فلم يجد الذين قالوا بها شيئا من الإحراج ماداموا قد رووا أقوالا عن أئمتهم المعصومين.

ففى كتاب[3] بعنوان «حق اليقين» للعلامة باقر مجلسى وهو كتاب ضخم بالفارسية، وقد نقل الخمينى بعض العبارات عنه لتعضيد آرائه. ونصح قراءه بمطالعة كتب مجلسى بالفارسية «يذكر مجلسي عقيدة الرجعة عند الشيعة ويدرج رواية طويلة عن مفصل بن عمر وهو من مريدى الإمام جعفر بالتفصيل».

وملخص ما ذكره مولانا منظور نعمانى عما قاله الإمام جعفر أن المهدى حين يرجع يأتى لمكة، ثم إلى المدينة وهناك يسأل: هل دفن أحد مع جدى؟ ثم يذهب للقبر، ويخرج جثتى الشيخين أبى بكر وعمر وهما على حالهما. ويضعهما على جذع شجرة.. وبعد أحداث تمر يأمر بإنزالهما، ويحييهما بقدرة الله، ويأخذ فى محاسبتهما عما حصل منذ عهديهما إلى قيام المهدى من مظالم، ويقتص منهما، ثم يأمر بأن يصلب الاثنان على الشجرة، ثم يأمر

(١) ضحى الإسلام ص ٢٣٧ وكانت أمه خولة من بنى حنيفة غير السيد فاطمة فنسب إلى أمه الحنفية نسبة إلى بنى حنيفة.

(٢) نسبة إلى كيسان مولى الإمام على عن بعض المؤرخين وتعصب لمحمد وإمامته. ولما توفى ادعوا بأنه مقيم بجبل رضوا ومختف فيه حتى يظهر وهذا الجبل قريب من المدينة على بعد أميال منها.

(٣) نقلا عن كتاب الدكتور النمر – المرجع السابق.

بإحراقهما، وإلقاء رفاتهما بالأنهار (ملخص عن «حق اليقين»ص١٢٥ بيان الرجعة)..

ثم يذكر مولانا منظور بقية القصة وجواب جعفر لأسئلة المفصل. هل هذا هو نهاية عذاب هؤلاء؟ فيقول الإمام جعفر «يا مفصل.. لا.. لا.. أقسم بالله أن محمدا رسول الله والصديق الأكبر أمير المؤمنين (على) والسيدة فاطمة الزهراء والحسن المجتبى والحسين وجميع الأئمة المعصومين سوف يبعثون أحياء والمؤمنون والكافرون. ويعذب الاثنان بحساب جميع الأئمة وجميع المؤمنين حتى إن هذين الشخصين يموتان ويعودان إلى الحياة آلاف المرات. ليل نهار. ثم يأخذهما الله حيث شاء ويظل يعذبهما»..

ولا يمكن أن يصدق أحد أن الإمام جعفر يقول مثل هذا ومع ذلك قالوه على لسانه. وسجلوه فى كتبهم وآمنوا به. إلى حد أن آية الله الخومينى يستشهد به وينصح بمطالعته.

وأخيرا فإن هناك اختلافا حول هل أن القائم مات ثم يحيا أو أنه غائب ثم يعود. كذلك اختلفوا فى وقت خروجه وقالوا فى ذلك بالبداء لما اختلف التوقيت، كما اختلفت روايتهم فى علائم ظهوره.

البداء

البداء فكرة يهودية استخدموها للطعن بالقرآن الكريم، فاعتبروا الناسخ والمنسوخ دليلا على أن القرآن ليس من عند الله؛ فالنسخ يستلزم البداء، والبداء محال على الله، والله إذا أمرنا بشىء كان حسنا وصالحا فإذا عاد ونهانا عنه كان دليلا على أن ما أمرنا به لم يكن حسنا، وأن فساده كان خافيا على الله حتى أمرنا بفعله[1]، وقالوا لرسول الله أقبدا لربك فيما أمرك به من الصلاة إلى بيت المقدس حتى نقلك إلى الكعبة؟ فقال الرسول ﷺ، ما بدا له عن ذلك فإنه العالم بالعواقب والقادر على المصالح لا يستدرك على نفسه غلطا ولا يستحدث رأيا بخلاف المتقدم جل عن ذلك.

وقالت بالبداء فرق الغلاة من الكيسانية السمعانية والبدائية. وقالت به القرامطة من المباركية. فالله يأمر بالشىء ثم يأمر بخلافه والبداء ينسب إلى المختار فكان يعد أنصاره بالنصر فإن غلبوا قال لهم إن الله وعدنى بذلك ولكن بدا له.

وهم جميعا يقررون أن الله يجوز عليه البداء، يعنون به أن يظهر لله أمر لم يكن يعلمه، فيغير كلامه وفعله وحكمه تبعا لما يظهر له.. وهذا يعنى اتصاف الله بالجهل!! من ذلك

(١) محمد سيد طنطاوى، بنو إسرائيل: ١/ ٢١٨.

مـا رووه عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، بعـد أن مات ابنه إسماعيل فى حياته، فقال: ما بدا لله فى شـىء كما بدا له فى إسماعيل ابنى ما ظهر له. كما ظهر له الخ.. وقد مات إسماعيل فى حياة أبيه وكان قد عينه إماما بعده وغلوا فى ذلك حتى رووا عن الإمام جعفر أيضا أنه قال «ما عظم الله بمثل البداء»(١).

وتشـير كتب التشيع الفارسـى إلى أن عقيدة البداء مرتبطة كليا بمسألة الإمامة. وظهر القـول بهـا أيام الصادق بعد موت إسماعيل قبل موت أبيـه، وللتخلص من المأزق قالوا لم تكـن حادثة إسماعيل هى الوحيدة التى عولجت بالبداء فقد أعد على الهادى ابنه محمدا لتولى الإمامة لكنه توفى أيضا فى حياة أبيه فعولج الأمر بالبداء فصارت لابنه الثانى الحسن العسكرى، كما عالجوا اختلاف توقيت خروج القائم بالبداء.

ويستدل التشيع الفارسى فى عقيدة البداء على:

١ – تأويل آيات القرآن:

﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾﴾(٢).

﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ﴾(٣).

٢ – الأحاديث المنسوبة إلى الأئمة ومنها:

– لو علم الناس ما فى القول بالبداء من الأجر ما فتروا عن الكلام فيه.

– ما عبد الله بشىء مثل البداء.

– ما عظم الله بشىء مثل البداء.

– ما بعث نبيا قط إلا بتحريم الخمر وأن يقر لله بالبداء.

البداء حسـب ما جاء بأقوال الأئمة وتفسيرهم للآيات القرآنية هو إقرار بقدرة الله تعالى على تقديم وتأخير ومحو وإثبات ما يشاء. وهذا التقديم والتأخير يكون فيما لا يعلمه إنسان أبـدا فهى أمور موقوفـة عند الله وما يمحوه أو يثبته إلا كان فى علمه قبل ذلك ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ﴾(٤). أما التشيع الفارسى فيغالط فى هذا المفهوم ويعطيه معنى آخر.

١ – قال الطوسى: «البداء فى اللغة هو الظهور، فلا يمنع أن يظهر لنا من أفعال الله تعالى

(١) الدكتور النمر – مرجع سابق ص ٧٤، ٧٥.

(٢) سورة الرعد الآية ٣٩.

(٣) سورة الروم الآية ٤.

(٤) سورة الأنعام الآية ٢.

ما كنا نظن خلافه»[1]، وهذا القول سليم بالنسبة لعامة الناس لكنه يتعارض وعقيدة علم الأئمة، فكيف يظهر لهم من أفعال الله ما كانوا يظنون خلافه وهم العالمون بما كان وبما هو كائن وما سيكون، وكيف يدلون ويشيرون إلى إسماعيل ومحمد ثم يقولون بدا لله؟

٢ – قال ابن بابويه: «إن الله كل يوم فى شأن يحيى ويميت ويرزق ويفعل ما يشاء، والبداء ليس من ندامة وإنما هو ظهور أمر... ومتى ظهر لله تعالى من عبد صلة لرحمه زاد فى عمره ومتى ظهر له منه قطيعة لرحمه نقص من عمره»، ويذكر للصادق قوله: «ما ظهر لله أمر كما ظهر لله فى إسماعيل ابنى فقد اخترمه (أهلكه) قبلى ليعلم بذلك أنه ليس بإمام بعدى».

إن الله عالم بالعواقب ولا يستدرك على نفسه ولا يستحدث رأيا بخلاف المتقدم، فهل الله عز وجل غير عالم بما سيفعله العبد من الخير والشر فينتظر ليرى هذا العبد وصل رحمه أو قطعه ليقرر زيادة عمر أو نقصانه.

أما ما يذكره من قول الصادق فهو دليل على أن الصادق لم يكن يعرف أن إسماعيل ليس بإمام بعده لو لم يهلكه الله. وهذا يتعارض مع كل عقائد التشيع الأخرى. مع النص من الله فى كتابه إلى رسوله ﷺ ومع ما ينسبونه للرسول ﷺ من أحاديث فى أسماء الأئمة، ومع علم الأئمة وعصمتهم ومعجزاتهم الدالة عليهم فوجودها عند موسى وانتفاؤها عن إسماعيل كافية لمعرفة الإمام.

أما تغيير قضاء الله بسبب الصدقة والدعاء والذى يؤيده أبو الحسن الشعرانى بقوله: البداء يقتضى توجه العباد إلى الله بالدعاء والمغفرة لأنهم إذا اعتقدوا أن القضاء لا يتغير أيسوا من الدعاء والإجابة.

فكيف يحكم الله بتحديد عمر العبد وهو يعلم مسبقا أنه سيزيده بسبب الصدقة والدعاء؟ وإذا كان الإمام يعلم ما سيكون إلى يوم القيامة فهل الله يخفى عليه ما سيفعله العبد من الخير والشر؟

والبداء الذى تقول به الشيعة الإمامية كما يراه البعض إنما يقع فى القضاء غير المحتوم أما المحتوم منه فلا، وهو فى العلم المخزون الذى لا يعلمه إلا الله. ويقول أبو جعفر: العلم علمان، فعلم عند الله مخزون لا يطلع عليه أحد من خلقه. وعلم علمه ملائكته ورسله. فما علمه ملائكته ورسله فإنه لا يكذب نفسه ولا ملائكته ولا رسله وعلم عنده مخزون يقدم

(١) المرجع السابق ص ٢٣١.

منه ما يشاء ويؤخر ما يشاء ويثبت ما يشاء.

وإذا مـا عدنا إلى موضوع الإمامة نجد أنها تقع ضمن القضاء المحتوم وهذا لا يجوز فيه البداء، فكيف بدا لله فى أمر إسماعيل أو محمد؟ كما أن الإمامة والنص على الأئمة يقعان فى العلم الذى علمه الله ملائكته ورسله والأئمة ويعرفه بعض الناس وفى هذا العلم لا يكذب الله نفسه ولا ملائكته ولا رسله، فكيف بدا له فى أمر إسماعيل ومحمد؟

وقـال المازندرانى: إن المحو يتعلق بالموجود والإثبـات يتعلق بالمعدوم وكل ذلك لعلمه تعـالى بالمصـالح العامـة والخاصة فيزيل وجود مـا أوجده ويفيض وجود مـا أراد إيجاده ولانقضاء مصالح الوجود وشرائطه حسنه فى الأول وتحققها للثانى، وتلك المصالح والشرائط مما يختلف باختلاف الأوقات والأزمان ودلالته على البداء بمعنى تجدد التقدير والمشـيئة والإرادة فى كل وقت بحسب المصالح الظاهرة[1].

هذا الرأى مقبول فيصبح المحو والإثبات فيما يتعلق بالتشريع الإلهى أو فيما جاء على لسـان رسـوله ﷺ وهو ما يعرف بالناسخ والمنسوخ، أما وقد انقطع وحى الله وكمل القرآن وتوفى رسول الله ﷺ فقد كملت الشريعة واستقرت فلا محو ولا إثبات.

إن البداء للبشـر فيبدو لهم الشـيء ثم يغيرونه إلى أحسـن منه بعد أن تبين حسـنه، وهـذا محال على الله عز وجل وهو العالم بحال الأشـياء قبل وقوعها يشـير إلى ذلك قول على.. أحال الأشـياء لأوقاتها ولاءم بين مختلفاتها عالما بها قبل ابتدائها محيط بحدودها وانتهائها.. وقوله: «الحمد لله الذى بطن خفيات الأمور»، وقوله: «قد علم السـرائر وخبر الضمائر له الإحاطة بكل شيء والغلبة لكل شيء والقوة على كل شيء»..

وروى عن الصادق: من زعم أن الله تعالى بدا له فى شيء بداء وندامة فهو عندنا كافر، ولعن محمد بن مسـلم لأنه يقول: إن الله لا يعلم الشـيء حتى يكون، وقال: من قال هذا أخزاه الله.

وروى الريان بن صلت قائلاً: «سمعت الرضا عليه السلام (توفى ٢٠٢) يقول: ما بعث الله نبيا قط إلا بتحريم الخمر، وأن يقر لله بالبداء».

ويتساءل الدكتور النمر [2] كيف يصدر هذا عن أئمة فضلاء نجلهم جميعا كجعفر الصادق الإمـام العظيـم وغيره..؟ وكيف ينسـب إليهم مثـل هذا؟ إذ لا يمكن أن ينسـبوا الجهل والخفاء له.. لكن أمهات الكتب عندهم هى التى تجمع على نقل الكثير من هذه الروايات.

(١) المازندرانى، شرح أصول الكافى: ٤/ ٣١٨.

(٢) المرجع السابق ص ٢٣٤.

ولذلك وجدنا كبيرا من علمائهم يقول، واتفقت الإمامية على إطلاق لفظ البداء فى وصف الله تعالى، وإن كان ذلك من جهة السمع «الروايات» دون القياس، أى أنهم يصدقونه رواية عن الأئمة بينما يستبعده العقل.

لكن لماذا هذه الروايات، وإشاعة هذا المبدأ؟ هل له ضرورة ماسة فى حياة الأئمة! وفى العقيدة؟ يجيب على ذلك بعض علمائهم وأقدم من كتبوا عن فرقهم عن سليمان بن جرير قال: «إن أئمة الرافضة وضعوا لشيعتهم مقالتين لا يظهرون معهما من أئمتهم على كذب أبدا.. وهما القول بالبداء والرجعة».

فأما البداء فإن أئمتهم لما أحلوا لأنفسهم منزلة الأنبياء فيما كان ويكون من العلم والأخبار. فإذا قالوا لشيعتهم، إنه سيكون كذا فى غد.. فإذا جاء كما قالوا. قالوا لهم، ألم نقل لكم إننا نعلم من قبل الله عز وجل وجهته ما علمته الأنبياء؟ (وهذا غريب فإن الأنبياء لم يدعوا ذلك) وإن لم يكن اعتذروا لهم بقولهم، بدا لله فى ذلك شىء، فغير القضاء! هذا التحليل الغريب تحليل دقيق تصدقه العقول، فى مثل هذه الحالات ويتفق مع ما كان معتادا، ولابد منه مع اتباعهم للسيطرة عليهم روحيا وماديا.

التقية

تعنى التقية فى مفهوم التشيع الفارسى كتمان الحق وترك الواجب الشرعى وارتكاب المنهى عنه خوفا من الناس، وتمثل ركنا من أركان الدين عندهم، وحكمها حكم الصلاة فتاركها كتارك الصلاة، ولا إسلام لمن لا تقية له، والتقية عندهم ترتبط بموضوع الإمامة فمن خلالها عولجت الكثير من إشارات الاستفهام التى تخص موضوعات ارتبطت بسيرة الأئمة وكان منتحلو التشيع السبب فى إثارتها من خلال ما وضعوه من روايات.. فكانت التقية المخرج الوحيد للإجابة عنها.. ومن هذه الإشارات:

١ – لماذا لم يعلم الإمام عن نفسه ويدل الناس عليه وهو لطفٌ من الله يهرع إليه الناس فى حلالهم وحرامهم؟ وإذ كان الإمام غير معروف للمقربين إليه من شيعته فكيف يعرفه العامة وكيف يموت هؤلاء ميتة جاهلية لأنهم لا يعرفون إمامهم؟ روى عن ذريح أنه سأل أبا عبد الله بعد أن عدَّد الأئمة حتى محمد الباقر قائلا، ثم أنت جعلت فداك؟ قال: فأعدتها عليه ثلاث مرات فقال: إنى إنما حدثتك لتكون شاهدا.

٢ – لماذا لم ينص الإمام علانية ويدل على الإمام الذى يخلفه وبذلك يضع حدا لمن يدعيها

زورا ويجنب الناس ميتة الجاهلية ويسهل لهم الرجوع إلى الإمام فى حلالهم وحرامهم؟ علما أنهم يروون عن الصادق قوله: ثلاث من الحجة لم تجتمع فى أحد إلا كان صاحب الأمر. وذكرها ومنها الوصية الظاهرة التى إذا قدمت المدينة سألت عنها العامة والصبيان إلى من أوصى فلان فيقولون إلى فلان ابن فلان.

٣ – لماذا لم يخرج الإمام ويتصدى للظلم ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويجاهد الظلم والظلمة إذ لو خلت الأرض طرفة عين منه لساخت بأهلها. ولماذا لزم بعضهم منزله وسكت وبعضهم خرج بالسيف وبعضهم أظهر أمره وبعضهم أخفى أمره وبعضهم نشر العلوم وبعضهم لم ينشرها؟

٤ – لماذا هذا التناقض فى أحاديث الأئمة فمن المدح لأتباعهم إلى الذم والتكفير والبراءة منهم؟ فقد مدح أبو عبد الله مثلا زرارة ومحمد بن مسلم ثم لعن زرارة ومحمد بن مسلم. كذلك فعل مع المختار وهشام بن الحكم والمفضل بن عمر؟ ولماذا الاختلاف فى المسألة الواحدة فى رواية الإمام وبين روايته ورواية إمام آخر علما بأن حديث الآخر هو حديث الأول؟ فروى عن أبى عبد الله أنه لا يتقى أحدا فى شرب المسكر، وروى عن أبى الحسن جوازها فى شرب الخمر. كما اختلف الإمام الواحد فى أحاديثه وبينها وبين أحاديث أئمة آخرين ففى ثواب زيارة الحسين، تراوح ثوابها من عمرة إلى أن وصل ثوابها إلى ألف حجة وعمرة.

٥ – لماذا الاختلاف فى أحاديث الأئمة فى المسألة الواحدة يسألها أتباعهم؟ فقد ورد مثلا عن زرارة أن أبا جعفر أجاب ثلاثة إجابات فى مسألة واحدة كلها مختلفة وكان السائلون من شيعته؟

كل هذه التساؤلات وغيرها تجاوزها التشيع الفارسى باسم التقية، فالإمام لم يعلن عن نفسه أو من يخلفه خوفا من السلطان الظالم، يمدح ويذم وخالف فى إجاباته خوفا على أتباعه وهكذا فكل شىء تقية، وفى سبيل ذلك انتحلوا الأحاديث التى تؤكد وجهة نظرهم إلى درجة اعتبروا أحاديث الأئمة التى تناقض ما ادعوه وهى كثيرة أنها قيلت تقية.

أما متى تجب التقية ومتى لا تجب؟ فيروى عن أبى جعفر قوله التقية فى كل ضرورة وصاحبها أعلم بها حين تنزل به. وروى عن أبى عبد الله التقية فى كل شىء إلا فى النبيذ والمسح على الخفين وفى رواية أخرى أضاف متعة الحج.

ويبدو أن عدم إعلان الإمام عن نفسه وعدم مجاهدته للظالمين يكمن فى قلة الأتباع وعدم

الثقة بولائهم خاصة بعد الأحداث التى رافقت تنازل الحسن ومقتل مسلم بن عقيل والحسين وزيد بن على. فلم يكن لعلى بن الحسين من أتباع فى أول أمره إلا خمسة أنفس. وروى عن أبى عبد الله «ارتد الناس بعد مقتل الحسين إلا ثلاثة.....» وقال للخراسانى «كم تجد بخراسان مثل هذا، لا والله ولا أحدا، أما إنا لا نخرج فى زمان لا نجد فيه خمسة معاضدين لنا» وعندما حادثه سدير الصيرفى بالخروج لكثرة مواليه وشيعته قال له «والله يا سدير لو كان لى شيعة بعدد هذه الجداء ما وسعنى القعود» وكان عددها سبعة عشر جديا. وعن حمران بن أعين قال، قلت لأبى جعفر جعلت فداك ما أقلنا، لو اجتمعنا على شاة ما أفنيناها.

إن الثقة كانت مفقودة بين أبناء آل البيت أنفسهم فكيف الأتباع. فقد اختلف آل البيت بين على بن الحسين ومحمد بن الحنفية وبين الباقر وزيد وبين الصادق ومحمد بن عبد الله بن الحسين وبين إسماعيل ومحمد وعبد الله وموسى، وقيل لما مات موسى الكاظم: إن السعاة به جماعة من أهل بيته منهم أخوه محمد وابن أخيه محمد بن إسماعيل وهكذا استمر الخلاف حتى الإمام الغائب.

ويروون عن الإمام على وأبى جعفر وأبى عبد الله عدة أحاديث فى العلة التى من أجلها ترك أمير المؤمنين مجاهدة أهل الخلاف منها، حفظا للشيعة لعلمه أن للقوم دولة، لأن هناك ودائع مؤمنين فى أصلاب الكافرين، اقتداء برسول الله ﷺ فى تركه جهاد المشركين بمكة ثلاث عشرة سنة خوفا أن يرتد الناس كفارا، لعلم الله أنه سيفسد فى الأرض ويحكم بغير ما أنزل فأراد أن يلى الأمر غيرنا، ثم قلة أتباعه فما كان ليقاتلهم وليس معه رهط من المؤمنين.

استدل التشيع الفارسى فى عقيدة التقية بالتالى:

١- تأويل آيات القرآن الكريم:

- ﴿أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا﴾[1]، قال أبو عبد بما صبروا على التقية.
- ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ﴾[2] قال أبو عبد الله الحسنة التقية والسيئة الإذاعة.
- ﴿عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾[3].. فما استطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا.

(١) سورة القصص الآية ٥٤.
(٢) سورة فصلت الآية ٣٤.
(٣) سورة الكهف الآية ٩٤.

- ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ﴾[1] قال أبو عبد الله رفع التقية.
- ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[2] قال أبو عبد الله هى التقية.
- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾[3] قال أبو عبد الله: صابروهم على التقية.

٢ - السنة النبوية:

فى رواية تعذيب عمار بن ياسر عندما أكرهه مشركو قريش على البراءة من دينه ونبيه فقال له رسول الله ﷺ يا عمار إن عادوا فعد فقد أنزل الله عذرك «إلا من أكره وقلبه مطمئن».

٣ - أحاديث نسبوها إلى الأئمة:

- عن على أنه قال: «التقية من أفضل أعمال المؤمنين».
- عن الحسين أنه قال «لولا التقية ما عرف ولينا من عدونا».
- عن على بن الحسين: «يغفر الله للمؤمنين كل ذنب ما خلا ذنبين، ترك التقية وتضييع حقوق الإخوان».
- عن الباقر: أفضل أخلاق الأئمة والفاضلين من شيعتنا استعمال التقية.
- عن الصادق: التقية دينى ودين آبائى.
: من صلى خلف المنافقين تقية كان كمن صلى خلف الأئمة.
: تارك التقية كتارك الصلاة.
: ليس من شيعة على من لا يتقى.
: إن تسعة أعشار الدين فى التقية ولا دين لمن لا تقية له.
: عليكم بالتقية فإنه ليس منا من لم يجعلها شعاره ودثاره.
- عن الرضا: لا إسلام لمن لا تقية له.

الرد على مسألة التقية

إن كتمان الحق وترك الواجب الشرعى وارتكاب المنهى عنه خوفا من الناس يحمل فى طياته معانى ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والخداع والكذب، والخوف والجبن، وأن

(١) سورة الكهف الآية ٩٨.
(٢) سورة فصلت الآية ٣٤. سورة المؤمنون الآية ٩٦.
(٣) سورة آل عمران الآية ٢٠٠.

يكون الشخص ذا وجهين بلسانين، وإفتاء الناس وتعليمهم بما يخالف الشريعة الإسلامية، وكتم العلم وعدم إذاعته.. وكل ذلك مما يؤدى إلى فساد الدين، وما يؤدى إلى فساد الدين لا تجوز فيه التقية.

فهل الإجابة عن المسائل الدينية والإفتاء بها بما يخالف الشريعة وحلف اليمين بغير حق، وكتم العلم ودين الحق، والصلاة فى جنازة المنافق، فساد للدين أم لا؟ فكيف جازت بها التقية؟.

إن هذا المفهوم الفارسى للتقية يتعارض مع ما ورد فى القرآن الكريم. وهناك العديد من الآيات التى تؤكد فساد هذا الرأى. فالقرآن يدعو ويحض المؤمنين على القتال وتحمل الأذى والصبر عليه فى سبيل الله وإعلاء كلمة الإسلام.

- ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ ﴾[1].
- ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾[2].

مصحف فاطمة

أذاعت إذاعة طهران الفارسية فى الساعة الواحدة والنصف من بعد ظهر يوم الأحد ٢ مارس ١٩٨٦ الموافق ٢١ جمادى الثانى ١٤٠٦هـ الكلمة التى ألقاها آية الله الخومينى فى اجتماع للسيدات للاحتفال بذكرى مولد السيدة فاطمة الزهراء ابنة الرسول المصطفى كان من بين ما جاء به:

«أهنئكن جميعا أيتها الأخوات وأهنئ جميع نساء العالم الإسلامى بهذا العيد سائلا البارى عز وجل أن يهدى جميع النساء للسير فى طريقه والعمل على تحقيق الأهداف الإسلامية السامية. إنه فخر للنساء جميعا أن يتخذن يوم مولد فاطمة الزهراء يوما للمرأة، إنه فخر ومسئولية.. فيما يتعلق بالصديقة فاطمة الزهراء أجد نفسى عاجزا عن الحديث عنها إلا أننى أكتفى برواية نقلت مدعمة بالأدلة، وهذه الرواية من كتاب «الكافى» تقول بأن الإمام الصادق يقول بأن فاطمة الزهراء عاشت بعد وفاة والدها ٧٥ يوما. قضتها حزينة كئيبة، وكان جبريل الأمين يأتى إليها لتعزيتها وإبلاغها بالأمور التى تقع فى المستقبل، وكان يتردد عليها خلال هذه الأيام.. ولا أعتقد بأن رواية كهذه الرواية وردت بحق أحد

(١) سورة الأحزاب الآية ٣٩.

(٢) سورة الأحزاب الآية ٢٣.

باستثناء الأنبياء العظام وكان على يكتب هذه الأمور، ومن المحتمل أن تكون قضايا إيران من الأمور التى نقلت لها ويقول «فقضية نزول جبريل على شخص ما ليست بالقضية السهلة والبسيطة، ولا تعتقدوا بأن جبريل ينزل على كل شخص إذ لابد من تناسب روح للشخص الذى ينزل عليه جبريل وبين جبريل الروح الأعظم».

وفى هذه الكلمة أكد الخومينى أن الوحى كان ينزل على السيدة فاطمة على امتداد ٧٥ يوما وكان الإمام على رضي الله عنه يكتب الوحى وهذا الوحى المدون أصبح معروفا باسم مصحف فاطمة رضى الله عنها.. ويقول أحمد أمين فى كتابه ضحى الإسلام نقلا عن كتاب الكافى للكلينى إن هذا المصحف مثل قرآننا ثلاث مرات، وليس فيه من قرآننا حرف واحد، وقد ذكرت كتب الفقهاء الشيعة هذا المصحف مثلما ذكرت الجفر والجامعة، وهذا الذى يقول به الشيعة يخالف ما هو معروف للمسلمين، عن انقطاع الوحى بوفاة الرسول المصطفى.

وهذه الروايات الشيعية تتناقض تماما مع ما يؤمن به السنة.

على.. والقرآن

يوقن علماء الشيعة أن عليا رضي الله عنه عالم بحقائق القرآن ودقائقه، وفى بحث نشره العالم الشيعى الشيخ محمد جواد مغنية الرئيس السابق للمحكمة الشيعية فى لبنان فى بيروت بعنوان «على والقرآن» فى نهاية الثمانينيات وأعيد طبعه عدة مرات وأشار إليه الدكتور عبدالمنعم النمر شيخ الجامع الأزهر الأسبق فى كتابه المعنون «الشيعة.. المهدى.. الدروز تاريخ ووثائق» والصادر عن دار الحرية عام ١٩٨٧ قال: إن أسرار القرآن العلمية ومعجزاته الغيبية، وعلومه وفنونه وإحاطته بكل شىء وسر ملاءمته ومناسبته لكل زمان، لا يعلمها إلا الله والراسخون فى العلم، وهم محمد وأهل بيته، أما غيرهم فلا يعرفون شيئا.. ثم يقول فى ص ٣٨ كان على أستاذا للكل بعد النبى ﷺ دون استثناء، يستمدون العلوم من معينه، ويحتجون بأقواله، كما يحتجون بالقرآن، فقد صح عن الرسول ﷺ قوله «على مع القرآن، والقرآن مع على، لن يفترقا حتى يردا على الحوض» ثم يقول:

ونستنتج من الحديث الحقائق التالية:

١ – إن قول الله ومحمد وعلى، واحد من حيث الحجة ووجوب الاتباع، لقد دلت الآية ٧ من سورة الحشر: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ دلت على أن حديث

الرسول بمنزلة القرآن، ودل حديث «على مع القرآن»، على أن قول علىّ بمنزلة القرآن أيضا، والنتيجة الطبعيية لذلك أن عليا هو الوسيلة إلى الله، وحجته على الخلق، وأن الراد عليه كالراد على القرآن!!

٢ – إن عليا عالم بحقائق القرآن ودقائقه.

٣ – إن عليا كالقرآن لا يخطئ، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

٤ – إنه خالد بخلود القرآن إلى يوم يبعثون.

٥ – إن القرآن مفتقر إلى على...

ثم قال فى ص٤٠: وبكلمة واحدة إن الحديث الشريف يدل دلالة واضحة على أن عليا والقرآن سواء بسواء، وأن كل ما للكتاب من فضل وعظمة فهو لعلى!

وفى الوقت الذى قرر فيه الرسول أنه بشر ونهى عن المغالاة فيه، ونزل القرآن يُعلمه أن يقول ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾[1] ويقول: إننى أصيب وأخطئ وهو ينظر إحدى القضايا، يأتى الشيخ وجماعته ويقرر، أن عليا كالقرآن لا يخطئ.

ويعلق الدكتور النمر قائلاً: كان الصحابة يراجعون رسول الله، ويرجع أحيانا عن رأيه، ويأتى الشيخ ويقرر عقيدتهم فى أن الراد والمراجع لعلى، كالراد على القرآن، وهكذا تكون المغالاة فى الحب، وفى عصر الفضاء والسماء كما يذكر الشيخ، وإننا جميعا نحب عليا كرم الله وجهه، لكننا نحب أيضا صحابة رسول الله أجمعين. وكل له جوانب فضله وميزته. وإذا صح حديث «على مع القرآن» فليس معناه أن أبا بكر وعثمان وأفاضل الصحابة ليسوا مع القرآن، وإلا فمع من إذن كان هؤلاء الأجلاء؟ وهم الذين أخذنا عنهم ديننا، ونقلوا إلينا سنة رسول الله ﷺ؟ ألم يكونوا مثل على رضى الله عنهم جميعا مع القرآن، وملتزمين به، ومحتكمين إليه؟[2].

لم لا نحترمهم جميعا، ونجلهم كلهم جميعا، كصحابة لرسول الله ﷺ، كل على قدر فضله وجهاده مع الرسول ﷺ، وفى قوة الدعوة الإسلامية من بعده؟

إن لعلى كرم الله وجهه ورضى عنه مكانته العظيمة فى نفوسنا لتضحياته فى سبيل الدعوة وقرابته من الرسول، لكن ليس على حساب الغض والتنقيص من غيره من الصحابة وتضحياتهم رضى الله عنهم أجمعين، وما كان على نفسه يرضى بما يقولون.

---

(١) سورة الكهف الآية ١١٠.

(٢) الدكتور النمر– المرجع السابق ص ٨١.

الجفر

وعاء من أدم «جلد» فيه علم ما كان، وما سيكون إلى يوم القيامة وبه علم الأولين والآخرين من أنباء الغيب، وقد ورثه الشيعة عن أئمتهم عن الرسول!

فكتاب مثل «الكافي» للكليني يقول: محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن ابن محبوب عن ابن رئاب عن أبي عبيدة قال: وقال أبو عبد الله (جعفر الصادق) عليه السلام إنه مملوء علما وفيه علم النبيين والوصيين وعلم العلماء الذين مضوا من بني إسرائيل.

العصمة

أول إشارة إلى العصمة وردت على لسان علي بن الحسين عندما سئل عنها فقال: إنها الاعتصام بحبل الله، ثم تلا الآية ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا ﴾[1] وبهذا المعنى تعنى التمسك بعهد الله، وقيل حبل الله هو القرآن فهو عصمة لمن تمسك به يؤكد به ما جاء بوصية الإمام علي إلى ابنه الحسن.

وعندما احتدم الخلاف على الإمامة وظهرت فرق الغلاة قالت بها الكيسانية والهاشمية وبما أن هشام بن الحكم صاحب القول بالنص على الإمامة كان من الضروري أن يدعم ذلك بالقول بعصمة الإمام، وقد أكد ذلك بقوله: إن جميع الذنوب لها أربعة أوجه، الحرص والحسد والغضب والشهوة، وكلها منفية عن الإمام فلا يجوز أن يكون حريصا على هذه الدنيا وهي تحت خاتمه لأنه خازن المسلمين، ولا يجوز أن يكون حسودا والإنسان يحسد من فوقه وليس فوقه أحد، ولا يجوز أن يغضب إلا غضبة لله عز وجل ولا يجوز أن يتبع الشهوات ويؤثر الدنيا والله حبب إليه الآخرة، واعتمدوا في قولهم بالعصمة على قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾[2] على أساس أنها نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين ولما كان الرجس يعني مطلق الذنوب والآثام والخطأ فإن نفيه عنهم من الله يعني عصمتهم من كل ذلك وبرغم أننا لا ندعي علما بالتفسير غير أن الواضح من سياق الآيات السابقات لهذه الآية والآية التي بعدها تشير إلى أنها نزلت في نساء النبي ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ ﴾[3] إلى قوله تعالى: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ

(١) سورة آل عمران الآية ١٠٣.
(٢) سورة الأحزاب الآية ٣٣.
(٣) سورة الأحزاب الآية ٢٨.

﴿اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾[1].

وإذا ما سلمنا أنها نزلت فى على وفاطمة والحسن والحسين فكيف تتم العصمة للأولاد والأحفاد؟ وإذا تمت لهؤلاء فلماذا لبعضهم دون بعض؟ والعصمة فى مفهوم المتشيعين الفرس هى عصمة الأئمة من الأخطاء والعيوب والذنوب صغيرها وكبيرها منذ ولادتهم[2].

الشفاعة

تمثل الشفاعة فى التشيع الفارسى موقعا مهما إذا تعد المبرر لترك الفروض الدينية وارتكاب ما نهى الله عنه، ويرى أن الشفعاء للبشر كافة هم الأئمة لأنهم ولاة أمر الله فى خلقه وهم الوسيلة بينه وبين الخلق ولا نجاة من العذاب الإلهى إلا بمعرفتهم ويكفى فقط ليكون الإنسان مشفوعا له أن يعرف الإمام ويحبه ويتوسل به وبعد ذلك يعمل ما يشاء.. فالدين عندهم طاعة رجل، وقد سبقهم فى هذا المفهوم الغلاة من البيانية والخطابية والمسلمية الذين قالوا من عرف الإمام فليصنع ما يشاء فأباحوا المحرمات وتركوا الفرائض[3].

وهكذا جعل التشيع الفارسى الطاعة المطلقة للإمام الواجب الدينى الأول وبهذا استطاعوا تفسير كل الواجبات الدينية تفسيرا رمزيا وتجاوزها مما حمل البعض على ترك الفرائض وارتكاب الذنوب فمن عرف الإمام فليصنع ما يشاء وهذا يفسر الإيمان الأعمى لدى الغالبية بالأساطير والخرافات التى يتحدث بها التشيع الفارسى فسمم أفكار الناس وأصبحوا مخدرين يرددون دون وعى أو معرفة، صم بكم فى مواجهة الانحرافات والبدع.

يعتمد التشيع الفارسى فى مفهومه السطحى للشفاعة على ما انتحلوه من الأحاديث:

١ – أحاديث انتحلوها عن الرسول ﷺ:

– قال الرسول ﷺ لعلى: ثلاثة أقسم أنها حق: معرفتك أنت وأوصياؤك بأن الله لا يعرف إلا بكم، ولا يدخل الجنة أحد إلا بمعرفتكم ومن عرفكم عرفتموه، ولا يدخل أحد جهنم إلا بعلمكم ومن لا يعرفكم ولا تعرفون.

(١) سورة الأحزاب الآيات ٣٢ – ٣٤.

(٢) المرجع السابق ص ١٦٨.

(٣) الأشعرى، المقالات. ٣٤. ٥١. ٦٤.

– قال الرسول ﷺ: إن الجنة خلقت لمن أحب عليا وإن عصى الرسول، وخلقت النار لمن أبغض عليا وإن أطاع الرسول.

– نزل جبريل إلى النبى ﷺ مطالبا إياه تبليغ علىّ أن الله أعطاه الجنة والنار فليدخل إلى الجنة من يشاء ويخرج من النار من يشاء.

٢ – أحاديث نسبوها إلى الأئمة وهى كثيرة منها:

– عن الباقر: من توسل بنا نجا ومن توسل بغيرنا هلك وأهلك.

– عن الباقر فى حديث طويل خلاصته: يوم القيامة تبدل سيئات شيعة أهل البيت بحسنات الناصبة والمخالفين فثواب صلاة الناصبة وزكاتهم وصومهم وحجهم وصدقاتهم وكل ما يفعلونه من الخير يعطى لمحب آل البيت حتى ولو يشرب الخمر ويزنى ويلوط ويقطع الطريق ويأكل الربا ويرتكب الفواحش ويأتى الكبائر. وبالمقابل فهذه الذنوب يحاسب عنها المخالفون: تأويلا لقوله عز وجل: ﴿فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾[1].

– عن أبى عبد الله سأله عبيد بن زرارة: جعلت فداك رجل أحب بنى أمية أهو معهم؟ قال: نعم. قال: رجل أحبكم أهو معكم؟ قال: نعم. قال: وإن زنى وإن سرق؟ قال: ثم أومأ برأسه نعم.

– عن أبى عبد الله: من علم أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وأن عليا وليه وأن الأئمة حججه أدخله الجنة ونجاه من النار.

– عن الصادق: شفاعتنا لأهل الكبائر من شيعتنا. من زار قبر الحسين قبل شفاعته فى خمسين مذنبا.

– عن الرضا: إن معظم الأنبياء فى شدتهم يتوسلون بالنبى وأهل البيت متخذين منهم شفعاء. وقوله: لن يبقى يوم القيمة ملك مقرب ولا رسول مرسل ولا مؤمن إلا سيكون محتاجا لشفاعة نبى آخر الزمان وأبنائه الأئمة المعصومين.

– عن الرضا: من زار قبور الأئمة رغبة وتصديقا كانوا شفعاءه يوم القيامة.

واعتمادا على هذه الأحاديث نسجوا الكثير من الروايات التى تتعدى حدود العقل والمعقول فى صيغتها الأسطورية منها:

(١) سورة الفرقان الآية ٧٠.

سميت فاطمة لأن الله فطم من أحبها من النار. وإنها تقف يوم القيامة على باب جهنم فيؤمر بمحبها وقد كثرت ذنوبه إلى النار فتقرأ بين عينيه محبا فتقول إلهى سميتنى فاطمة وفطمت من تولانى وتولى ذريتى من النار. فيأمر الله بدخوله الجنة.

وقد يسروا الطريق إلى الجنة حتى انتحلوا حديثا عن الرسول ﷺ يقول: «كل من أكل البطيخ يدخل الجنة».

ولم يقصروا الشفاعة على الأئمة وإنما لشيعتهم أيضا. يروون عن على «فلا أزال على الصراط أدعو وأقول، رب سلم شيعتى ومحبى...» فإن النداء من بطنان العرش. قد أجبت دعوتك وشفعت فى شيعتك، ويشفع كل رجل من شيعتى ومن تولانى ونصرنى فى سبعين ألف من جيرانه وأقربائه.

ومن خلال هذا المفهوم يتكشف هدف المتشيعين الفرس من الترويج لشفاعة الأئمة. فهى شفاعة تطمع الفساق فى عفو الله وبالتالى إبعاد المسلم عن دينه وما يحمله من المسئوليات. فالصلاة مثلا ليست من أجل الصلاة إن لم تنه عن الفحشاء والمنكر وإلا ما الفرق بين مقيمها وتاركها؟.

إن الشفاعة بهذا المفهوم تحارب الإسلام وشرائعه فى بناء الأخلاق والمجتمع وتحارب رسالة الأئمة فى تعميم خلق الإسلام وبناء المجتمع. إن هذه العقائد يدحضها القرآن والسنة.

❑❑❑